القائمة الطويلة
جائزة البوكر
2019

جليـــــد

لاني

LANNY

ترجمة: د. ايمان معروف

Telegram:@mbooks90

ماكس بورتر

«عمل ساحرٌ خلاب، وانتصار للرؤية الفنية»

فاينانشال تايمز

لاني

ماكس بورتر

LANNY

MAX PORTER

جليس

شركة جليس للنشر والتوزيع

0096560393960 | info@jalees.net

jalees.net | jalees_bookstore | @jalees_net

اشراف عام : د. حمود طاهر

تصميم غلاف وإخراج : داليا العزب

ر.د.م.ك : 978-9921-772-56-2

All rights reserved © Max Porter, 2019

جميع الحقوق محفوظة لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو بواسطة أي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير والتسجيل أو عن طريق تخزين المعلومات ونظام استرجاع، بدون إذن كتابي من الناشر.

كتب ماكس بورتر

حزن يغطيه الريش

الفائز بجائزة ديلان توماس الدولية والقائمة المختصرة لجائزة جولد سميث وجائزة الجارديان للكتاب الأول.

في شقة في لندن، يواجه صبيان صغيران الحزن الذي لا يطاق على وفاة والدتهما المفاجئة. يتخيل والدهما، وهو باحث في تيد هيوز ورومانسي، مستقبلاً من الزوار ذوي النوايا الحسنة والفراغ.

في هذه اللحظة من اليأس يزورهم الغراب – خصم، محتال، معالج، جليسة أطفال. ينجذب هذا الطائر العاطفي إلى العائلة الحزينة ويهدد بالبقاء حتى لا يعودوا بحاجة إليه.

"مذهل ولا ينسى" التايمز (The Times)

"لا يشبه أي شيء قرأته من قبل". أندرو ماكميلان، الجارديان

كتب السنة

"أحد أكثر الكتب إثارة للدهشة هذا العام". كتب القراء للعام

"جيد جداً". روبرت ماكفارلين "تجربة قراءة منيرة". TLS

"مذهل تماماً. حقاً، رائع حقاً". ناثان فيلر، مؤلف كتاب

السّلامُ، أيّها الغريب، شجرةٌ تنمو وحدَها رغمَ وعورة الطريق، رغمَ التجاربِ وكلّ ما يُحبط نموّها.

شجرةٌ خضراء مثابرة تصبرُ على اختناق أنفاسها.. ورغم الألم تمنحُ السّلام وراحة البال.. البرعم والحركة.

تبثّ هذا النسغ الحلو الأخضر في أرجاءِ الأرض، وتهديها السّماء والشّمس رداءَها كما أنا أُهديكِ أثوابكِ.

لينيت روبرتس، "الترنيمة الخضراء (I)"

1

يستيقظ بابا توثوورت الميت من قيلولته المعتادة على سريرِ مساحته فدان متذمراً يكشط أضغاث الأحلام كما يكشط القار المتلألئ السّميك الملوث بلزوجة القمامة السائلة. يستلقي لسماعِ تراتيل الأرض (لم يسمع شيئاً، فراح يُدندن)، ثم ينكمشُ، ويصنعُ لنفسهِ فماً عبر سحبِ حلقةٍ صدئة ويمصّ جلداً مبللاً بالمهادِ الغني بالحمض وعصارة الفاكهة العفنة. ينشطرُ ويتذبذب، ينقسمُ ويعيدُ تجميعَ نفسهِ، يسعلُ وعاءً بلاستيكياً وواقياً ذكرياً متحجراً، يتوقفُ لبرهةٍ مثل حمامٍ محطّم مصنوع من الألياف الزجاجية، يتعثر ويمزق القناع، يلمس وجهه ويجده مصنوعاً من زجاجات حمض التانيك المدفونة قبل زمنٍ طويل. إنها قمامة فيكتورية.

Telegram:@mbooks90

يجب ألا ينام بابا توثوورت النزق قطّ فترةً ما بعد الظّهر؛ إذ إنّه ينسى من يكون.

تنتابه رغبةٌ في قتلِ الأشياء، فيشرع بالغناء. يبدو بطيئاً مثل بقبقةِ فقاعاتِ الإسفلت في موجة الحرّ. ابتسامته تستغرقُ ساعةً كي تعود إليه. وعندها يهتف مرحاً ويتحدث بصوتٍ مثقفٍ أحمق إلى الأجنحة الورقية الجافة والكائنات المنسيةِ تحتَ اللحاء، وإلى العلامات التي تركها هنا العامَ الماضي، إلى الفئران والقرود، وفئران الحقل والغزلان، إلى ذاكرته الغريبة وكأنها موثوقة مع مرور المواسم مثل فصلٍ من

المناهج الدراسية الريفية. ينزلق داخلَ زيّ قاتمٍ تلوَ الآخر بينما يخشخش ويرتشح ويلعن طريقه بين الأشجار.

يمشي بضعَ خطواتٍ كمهندسٍ يرتدي سترة داي جلو الوامضة. وخطوةً أخرى في بدلة العشاء، ثم رداء ملجأ أندرسون، يليه بدلة رياضية، ثم غطاء محرك سيارةٍ صدئ، ثم تنورة جلدية، لكن جميعها لا تفي بالغرض. يقفُ مؤقتاً كأنبوب عادم، ثم يتلوى في شكل كمين أرنب، ثم نبات القراص العالق بصوف حملٍ مخنوق وردي اللون. ينتزع شحروراً أسود من السماء ويفتح منقاره الأصفر. ينظر ملياً إلى الوجه الممزق كما لو كان بركة نظيفة. يقذف الطائر عبر أصقاع الغابة، ويقف عارياً مثل حصبة أو دغل، وينبش الأرض بأقدامه الممزقة. جسدهُ بدلةٌ من درع اللحاء حُفر على سطحه الحروف الأولى لعشاق مراهقين ماتوا قبل أمدٍ طويل.

يتجوّل بتثاقلٍ عبر الغابة يقظاً وتوّاقاً للإصغاء.

ثمة شيء واحدٌ يمكن أن يبهج توثوورت النزق وهو الإصغاء.

يُسرع الخطا عبر الأرض مستعجلاً ساعةَ الغسقِ بالضبطِ ليصلَ إلى بقعته المفضلة. تتموضع القرية بكلّ حُسنها لتحييه، يخيّم عليها نصفُ ضوء. يتسلق بوابةَ القبلات. إنّه غير مرئي وصبورٌ وحجمهُ الآن بحجم البراغيث.

جلسَ ساكناً.

وراح يستمع.

ها نحن ذا.

{شتلة}

صوتُ إنسانٍ مقيّد بشؤونه يسِيرُ متثاقلاً عبرَ الحقلِ منغمساً بمشاغله الكبيرة.

{ملكية خاصة، قرص العسل}

رائع.

{شامبو في عيني، الريح أسقطت التفاح}

يا لها من لحظاتٍ جميلة.

{اضغط زر الانتظار، لا أثر لأبي، رائحة نتنة هناك، أمِل كأسك}

باتت الأصوات حوله الآن، دخلَ وسحبَ الديدان برفقٍ مثل قائد أوركسترا يسحبُ النغمات بلطفٍ من العازفين.

{مخزن الغراس}

{ارمها إذن}

إنه يصغي بإمعانٍ وخبرةٍ، ودونَ استعجال، مثل الوقت الذي ينتظر احتضار كائن حيّ، شيئاً فشيئاً.

يصغي إلى قريته تستعد للخلود إلى النوم،

{اغرب عن وجهي آلان}

{قوة كهربائية أعلى بكثير، أحلام رائعة، صرير حزام المروحة}

{نظّف الحليب الذي نسيته}

{أتحدث مع بيجي العجوز}

{نعيش في زمن غريب}

{حتى آخر نفس}

{كيف حال ركبتيك، إنه حرق كيماوي وليس سرطاناً}

{الخريف جراح قاسٍ، أبي غاضب، اجعل الجن أكثر من الصودا}

يزفر بابا توثوورت الميت موسيقى الأصوات الإنجليزية المتناغمة، يسترخي طرباً، يتدلى من فوق عارضةِ البوابة، يبتسم ويشربها بتلذذ.

{الغربان تنعق، تغطي الروتا، فقدت السيطرة 9 سنوات}

{تكدّست أغنيتا الجنيهات، تسجيلٌ في إلم هاوس}

{ركلة سريعة، نوافذ أصلية، اقتحم البلدة}

{إسهال صديقي الموثوق، يموت كبار السن}

{قشر الساتسوما مرمي في الشارع مثل خط شعر البطن}

{القذر الصغير، مصباح مثير للاهتمام}

{البريد المضمون والبريد المسجّل ليسا الشيء نفسه}

{بعض البلدان على خطأ، لم أر يوماً شخصاً أكثر إدماناً منه}

{اشتبكت الفرقة الموسيقية مع السكارى للأسف، أهل مزعجون}

{جميلة على نحوٍ غامض، الكأس الأخير ثم إلى النوم، {المصارف المسدودة}

{ابن جنجر الخنزير هو من أخاف ابننا آرون، إيراني أو شيء من هذا}

{يدخل ويخرج مثل الريح، شيلا تصنع بوينغ الأرز بالكراميل المملح، يا إلهي، إنه لذيذ جداً، تسع جنيهات إنجليزية}

يسبحُ في هذا المكان الذي يقطنُ فيه، يزدرده ويلفّ نفسه داخله، يفركه على كلّ جسده، يدفعه داخل ثقوبه، يغرغر، يلعب، يتخلل ويتغذى، يلحس ويلعق لعابه عند سماع صوته، ويودّ أن يفور كالفقاعات على لسانه،

{تفاحة مثل تلك، البروفسور يقول هذا، قيء كيشي، اهترأت البوابة حيث استندت إليها سبعين صيفاً}

{يصرخ مثل الثعالب المُثارة، إنه لصّ تافه}

{حالة المراحيض، الألياف الضوئية، سنتصرف بحزم، ستكون الأبقار بصحة أفضل لو استخدمنا بعض المضادات الحيوية}

{غلّف الصينية أولاً، أنين لا ينتهي}

{أيها العجوز المجنون الشرير، حالة ذلك السكوتر، مبتذلة مثل تاتو قذر، مسؤولية ليندا}

{تسع دوائر انتخابية لعينة في سلسلة منطقية، أنت أو أنا}

{استجداء توصيلة يوم الجمعة، المزيد من الكي ثم فنجان من الشاي}

{كلمة صغيرة إلى كين الحكيم، أيها الأحمق، اتحد الحياكون الماركسيون، البلاي ستيشن فاشلة، ديف لديه ملء دلوٍ من الأضاليا}

يمضغ بابا توثوورت الميت ضجيج المكان وينتظر المذاقَ المفضّل لديه، لكنه لم يحصل عليه بعد،

{كنت معلمة مدرسة لذا أعرف كلّ شيء عن الحمقى صعبي المراس}

{هناك شجيرات صبيانية وشجيرات بناتية، وأجماتٌ صغيرة بارتفاع

قدم واحد}

{كيف الحال أيها البدين الأنيق}

{اقتلاع حمولة من أزهار الجريس لمدة يومين من الحسن والجمال، بام السمينة تثور من أجل كعكة ومربى}

{قلت له غيّر القنوات أيها اللوطي، سماد مفيد، ردّ على رسالته}

{تعرض روي لهجوم آخر، يقبض ياشفي أجره ليلاً طوال أيام الأسبوع}

{علاقة!، انظر جيداً إلى زوجته، على جثتي، رأيت مقدمي الرعاية يدخلون لكن جين قالت إنهم تجاوزوا تلك النقطة}

{ياسمين القوية، عشرون تمرين ضغط والاستمناء خمس مرات، انظر إليّ وأنا أخطط قبل شهر}

{أباريق الصرف، أكياس إعادة التدوير، تومبولا}

{الخروج عن النظام، الدفع أولاً بأول، ببساطة غير مرحب به، يتحدث عن الذكورة السامة في كلّ نادٍ للكتاب، غضب إل جاز مثل حيوان سمندل}

ثم سمعَ صوتَهُ، واضحاً وصافياً، الصوت الجميل المفضل لديه.

صوت الصبي.

سيكون له رأس دولفين وأجنحة شاهين،

سيكون وحشاً ينذر بهبوب العاصفة،

يراقب الطقس أثناء نومنا.

يحتضن بابا توثوورت الميت نفسه بأذرع الصنوبر المريضة والوقواق المراوغ يبصق على ذقنه. يبتسم. رأس دولفين وأجنحة شاهين! اجتاحه شوقٌ جارفٌ، وتمنى لو استطاع أن يشقّ القرية ويسحبَ الطفل منها. يستخرجه منها صغيراً وعتيقاً في آنٍ معاً، مرآةً ومفتاح.

وحش ينذر بهبوب العاصفة، يراقب الطقس... يستمع إلى الصبي لبعضِ الوقت، يصغي إلى أفكاره قبل أن يخلدَ للنوم، وأمنياته بليلةٍ سعيدة لوالدته، وعقله اليقظ يدلفُ إلى نومٍ غني بالصور والخيالات. ثم يغادر بابا توثوورت الميت مكانه ويتجول، ضاحكاً، صاخباً في جلوده المختلفة، مرتدياً معطفاً من القماش المشمع، يترنح منتشياً في أرجاء القرية، تغمره الأحاسيس الجياشة، وتؤلمه فكرةُ كيف يؤدي شيءٌ إلى آخر مراراً وتكراراً، مراراً وتكراراً، دون الوصول إلى ما يمكن أن يكون نهاية.

والدة لاني

بلغَ مسمعي صوتُ أغنية،

دافئةٍ من أنفاسه البديعة.

طفلي المُغني،

يغمرني بالنعم.

مرّت برهة قبل أن أدرك أنه صوتُ آخر.

لاني؟

والد لاني

أجلسُ في مكان عملي في المدينة وفكرةُ وجودِه على بعدِ ستين دقيقة بالقطار، يمضي وقته في القرية حاملاً أفكاره الغريبة، تبدو مستحيلة تماماً. عندما أكون في العمل يبدو لي من غير الوارد أن يكون لدينا طفلٌ، وأن يكون هذا الطفلُ لاني. لو كان والداي هنا سيقولان بالتأكيد: "لا روبرت، لقد حلمتَ به. الأطفال ليسوا هكذا. عُد إلى النوم. عُد إلى العمل".

يقول تقرير مدرسته: "يمتلكُ لاني موهبةً فطريةً في الترابط الاجتماعي. غالباً ما يهدئ فصلاً دراسياً مشحوناً بالحيوية بنكتةٍ أو

أغنيةٍ واحدة يطلقها في التوقيت الصحيح". وأدرك بلا جدالٍ أنّ هذا واقع الحال بالفعل. هذا يشبهُ لاني. لكن من أين أتت مواهبه؟ هل أملكُ المواهبَ نفسها؟ ماذا أو منْ الذي يُفترض به أن يدير وينظم مواهب لاني؟ اللعنة، إنها مسؤوليتنا. من يمكنه إنجاب الأطفال دون أن يصاب بالجنون؟

"إنّ لاني موهوبٌ باللغة على وجه الخصوص، وقد عرضت قصيدته المقفّاة "تاركا القندس" على مدير المدرسة في اليوم العالمي للكتاب ومنحهُ ملصقاً ذهبياً رائعاً من الدردار".

ماذا؟ ما الذي تتحدثون عنه؟ أريد ملصقاً.

بيت

في ذلك الوقت كنت منغمساً في البحث عن الهياكل العظمية للكائنات الميتة وتنظيفها. معظمها هياكل طيور. كنت أفككها إلى أجزاء وأغلفها بورق الذهب، ثم أعيد تجميعها على نحوٍ عشوائي وأعلقها على إطاراتٍ سلكية. هواتف نقالة صغيرة لطيور سيئة الصنع. صنعتُ دزينة أو نحو ذلك، فقد أراد المعرض شيئاً يعرضهُ ويبيعه.

كنت آخذ أيضاً قوالبَ لأنواع مختلفة من اللحاء، أضعها في صناديقَ مع قصاصاتٍ من الكتب، بعضها رسوماتٌ وصورٌ تنقصها الحشمة بعض الشيء، ومجموعات، وأشياء هادئة.

جاءَتْ إلى الاستوديو صباحَ أحدِ الأيام وأحضرَتْ لي غصناً بذراعين مثاليين. شاهدَت منحوتةَ رجلٍ أعملُ عليها.

انتقلنا من الدردشة السريعة في الشارع بين الحين والآخر إلى زيارتي في منزلي لتناول الشاي مرة أو مرتين في الأسبوع.

تأتي أحياناً بصحبة لاني، وأحياناً تأتي وحدها. انتقلوا إلى القرية منذ نحوِ عام أو عامين فقط.

شاهدَت منحوتةً خشنة لرجلٍ كنت قد أنهيت العمل عليها، تمثال للمسيح دونَ صليب، ورأت إمكانية نحتِ تمثالٍ آخر من خشبِ هذا الغصن اليابس.

"أنتِ لطيفةٌ جداً ""، قلت. قالت: ""تسرني مساعدتك، بيت".

لقد أحببتها. رائعة وإن كانت ثرثارة. دافئة، وتمتلك نظرةً ثاقبة. كثيراً ما أعرضُ عليها أعمالي وأستمتع بملاحظاتها المثيرة للاهتمام. إنها مسلية وتعرف بالضبط متى تغرب عن وجهي. يبدو أنّها اكتشفت أنني لستُ اجتماعياً.

كانت ممثلة، أدّت أدواراً على المسرح والقليل من الأدوار على التلفاز. روت لي الكثيرَ عن كلّ ذلك. وعن كلّ أولئك الأوغاد في ذلك المجال من العمل. لم يبد قطّ أنّه عالمٌ مختلفٌ عن عالمِ الفن بأي حالٍ من الأحوال.

لم تفتقد عملها في التمثيل لكنها تشعرُ بالملل في بعض الأحيان عندما يذهب لاني إلى المدرسة، ويذهب زوجها إلى المدينة. قالت إنها تؤلف كتاباً يروي حكاية عن جريمة قتلٍ مثيرة.

قلت: "يبدو مرعباً".

قالت: "إنّه دموي ومرعبٌ للغاية، لكنّه مثير".

غالباً ما كانت تجلسُ قربي أثناء عملي. لقد اشترَت قطعةً من أعمالي من المعرض دونَ علمي. كانت إحدى منحوتاتي الضخمة. قلت إنني كنت سأعطيها سعراً أقل لو عرفت، فقالت: "لهذا السبب بالضبط، بيت".

Telegram:@mbooks90

لقد أحببتها.

اعتادَت العبث بكلّ ما تجده حولها.

قطعٌ من الأسلاك. قلمُ رصاص. بعضُ الأغصان.

قلتُ لها ذاتَ مرةٍ: "اصنعي شيئاً".

"أوه، لا، أنا فاشلة مع الأشياء البصرية".

أذكر أنني قلتُ لنفسي حينها كم غريبٌ ومحزنٌ جوابها.

فاشلةٌ مع الأشياءِ البصرية.

لا بدّ أنّ شخصاً ما قالَ لها شيئاً كهذا من قبل حتى صدّقت هذه

الفكرة عن نفسها.

تذكّرت أمي. قال أحدهم لأمي ذاتَ مرةٍ عندما كانت طفلة صغيرة جداً إنّها لا تستطيع غناء أي لحنٍ بشكل سليم. فامتنعت عن الغناء أو حتى الدندنة طوال حياتها. ولا تفتأ تقول "أنا لا أستطيعُ الغِنَاء".

لم أدرك إلا بعد مضيّ وقتٍ طويلٍ على رحيلها أنّها كانت تقول ذلك بسبب تلك الملاحظة السخيفة. لا أستطيعُ الغناء.

وهكذا، جلسَت أمام طاولتي تجمعُ فتاتَ الأشنات على شكلِ كومةٍ بينما نتحدثُ عن بشاعةِ المكعبِ الزجاجي الجديدِ الذي يُبنى أعلى تلّ شيبردج.

راقبتُها.

أولاً، صنعت شكلاً أنيقاً. مهّدت سطحه. قسمته إلى قسمين. وضغطته إلى خطين. دفعت الخطين داخلاً وخارجاً حتى تحصلَ على صفٍ صغيرٍ من الأسنانِ الخضراء الرمادية. ربّتت عليها لتأخذَ شكلاً مستطيلاً وتستخدم أظافرها لتنظيف الحواف، ثم رسمت دائرة مثاليةً في المنتصف بأطرافِ أصابعها المبللة.

فاشلةٌ في الأشياء البصرية، لكنها تجلس هنا وتصنعُ من كومةٍ صغيرةٍ من الأشنات المجففة نصفَ دزينةٍ من الأشكال الجميلة على طاولة مطبخي.

نظرتْ إليّ وقالت إنّها تعرف أنني مشغول وتعرف أنني مشهور، ولكن إن لم تكن فكرة غبية جداً، فهل يمكنني إعطاءُ لاني بعض الدّروس في الفن.

دروسٌ في الفن! يا للهول!

أخبرتها أنه بقدر ما أحبّ الصبي وأستمتع بمحادثاتي معه، لا أستطع تخيلِ شيء أسوأ من تدريس الرسم.

قلت لها إنني لقيط انعزالي بائس بالكاد أستطيع إمساك قلم رصاص.

ضحكَت، وقالَت إنها فهمت، ثم غيرت الموضوع بطريقتها اللطيفة المعتادة.

أود أن أسميها امرأة حساسة للضوء. إنها شخص أقرب إلى الطقس من معظم الناس، من الواضح أنها مصنوعة من ذرات الأرض نفسها أكثر مما يبدو عليه معظم الناس هذه الأيام. وهذا يفسر طبيعة لاني.

***

وهكذا غادَرت في ذلك الصباح، وجلستُ أتنفس أجواء زيارتها وأفكر ملياً في النساء حين يكبرن ومعنى أن تكون فتاةً في هذا العالم، وشعرت عندئذٍ بالاشتياق إلى أمي، وأختي، وبعض النساء اللواتي عرفتهن. وضعت بعنايةٍ رقائق صغيرة من الذهب على جمجمة روبن

ورحت أدندن أغنية "غصن الزعتر العجوز" لنفسي.

والدة لاني

بلغَ مسمعي صوت أغنيةٍ دافئة من أنفاسه البديعة.

اندفع نحوي معانقاً وتسلق حضني، ولفّ نفسه حول عنقي.

قلت: "لاني يدخلُ المسرح يساراً، يغني، يشاكس شجرة الصنوبر وأشياء لطيفة أخرى".

قلت في داخلي: "من فضلك لا تكبر على هذه الأحضان، يا نبعَ الدفءِ الصغير".

والد لاني

إذا لحقتُ بقطارِ الساعة السابعة و إحدى وعشرين دقيقة سأفوت الإفطارِ مع لاني، ولكن سأتجنب ثرثرة كارل تايلور وعادةً ما أحصل على مقعدٍ مناسب في القطار..

إذا لحقت بقطار الساعة السابعة و إحدى وأربعين دقيقة سأرى لاني لكن كارل تايلور سيجدني على المحطة ويجب أن أسمعَ قصصه عن سوزان تايلور وفتيات تايلور الذكيات والموضوعات التي يدرسنها للحصول على الشهادة العامة للتعليم الثانوي ومن المحتمل أن نضطر إلى الوقوف ونصبر على رائحة إبطِ شخصٍ ما، والدّراجة المطوية

لشخص ما، وكارل تايلور يطلعني على شريط الأخبار ممزوجاً مع موسيقى سماعة الرأس الصغيرة لشخصٍ ما.

مع نهاية شارع القرية، آخذُ نفساً عميقاً وطويلاً و أعبر مفترق الطرق حتى طريق غوست بايلوت، عبر آشكوت، طريق مزدوج يصل إلى المدينة. وبافتراض عدم وجود جرارات أو راكبي دراجات، يمكن أن أصل المحطة في أقل من عشرين دقيقة. أفضل زمنٍ حققته كان أربع عشرة دقيقة. إذا تباطأت في طريق غوست بايلوت، من الممكن أن أصادف غزلاناً على الطريق ويمكنني التوقف لمدة دقيقة لمراقبتها. أو يمكنني إطلاق الزمور لتحذيرها بأنني قادم وأقود بسرعة 70 أو 80، وأترك النوافذ مفتوحة كي أبقى يقظاً وأستمتع بالقيادة. قد أستمتع أيضاً بالسيارة نفسها، فقد كلفتني ثروة وتقضي معظم حياتها مركونة في انتظاري.

في بعض الأحيان، حين أقود بسرعة، أخصص خمس دقائق في موقف السيارات بالمحطة للجلوس والتحدث إلى سيارتي. أقول لها: شكراً لكِ، سُرِرتُ بالعمل معكِ، سيّدتي أنتِ رائعة. بوسيفالوس، أنتِ جمالٌ مطلقٌ، أنتِ أفضل حصان في العالم. هكذا يكون التنقل. ملذات صغيرة تُقنعكَ من خلال تحويل الروتين اليومي إلى لعبة. حيلٌ صغيرةٌ يمارسها ابن البلد يوماً إثر يوم. من الجائز أنها تُدمّر الروح. وربما أشعر بالأسى بعض الشيء. لا أعلم.

لدي لوحة رسمها لاني أعلقها فوق مكتبي. لقد رسمني وأنا أرتدي وشاحاً وأطير فوق الأفق وكتب بجانبي: "أين يذهب أبي كلّ يوم؟ لا أحد يعرف".

والدة لاني

قرعَ بيت الباب.

"تجاوزتُ بيجي العجوز دون سؤال".

"تهانينا، بيت، لكنها ستمسكُ بكَ في طريق العودة. إنها قلقة بشأن الأشخاص الذين يطعمون طيور الحدأة. أترغب بقدحٍ من الشاي؟"

نظر إلى حذائه وشدّ لحيته.

"لا شكراً، ولكن انظري. فكرتُ بعد أن غادرتِ تلك الليلة. شعرتُ أنني وغدٌ عجوز بائس، وما الذي يمنعني بحق الجحيم من أن أكون أقلّ من ذلك. أنا لا أعرف كيف أعلّم أحداً وأنا نفسي أكره أن يعلمني أحد. لكن إن كان ما تطلبينه هو ما إذا كان بوسع لاني المجيء إلى منزلي والجلوس في مطبخي، واستخدام أوراقي، والرسم معي، والدردشة حول ما أفعله، فلم لا. إنّه ولدٌ لطيف ويمكنني التعايش مع رفقته. حتى أنها قد تفيدني بعض الشيء. فماذا عن أيام الاثنين أو الأربعاء بعد المدرسة؟"

"أوه! أنت رائع بيت. وستسمح لنا بأن نَدفع لك أجراً مقابل هذا؟"

"بالطبع لا. مستحيل يا عزيزتي. اجعلي زوجك الثري يشتري إحدى طيوري الذهبية المميزة عندما يرتفع ثمنها العام المقبل".

"أنت لطيف جداً. سيكون لاني مسروراً بذلك".

"يوم الأربعاء، من فضلك".

عاد بيت أدراجه عبر الممر. استدار ورفع يده صائحاً:

"الأربعاء في الساعة الرابعة، سأكون بانتظاره".

بابا توثوورت الميت

استلقى بابا توثوورت الميت تحت ضريحِ زوجة قسٍّ من القرن التاسع عشر وعبث بجذور الطقسوس في حوضها. إنه يحبّ المقبرة. وراحَ يصغي.

{لا بأس ما دامت والدة جيمي تقول ذلك، عندما أموت اصنع مني كرات لحمٍ للطيور}

{عشرة أقلام تحديد جديدة من النفقات الصغيرة، يحتاج "ديلان" إلى زرّ تخفيف لضبط أعصابه}

{قضيب بهذا الحجم يجب أن يكون مربوطاً بحبل، مطبخ مفتوح، رسوم أزهار}

{كلبٌ جيد، توم لم يكن على ما يرام على الإطلاق}

{ممتد أكثر من اللازم، جزّارت جديدة وأسوار جديدة، كلها منفوخة وتلمع مثل خنزير مدهون}

{عشر ملاعق مطاطية، جريمة من الباب إلى الباب}

{التربة الجيرية الثقيلة، وقالت إنها لا تعرف كيف تصبّ جعة غينيس لكننا غفرنا لها بفضل نهديها}

{يعزى إلى الحياة أكثر من الإنترنت}

{ما سيقتل براين جولد هو انغماسه في رثاء الذات من الطراز القديم}

يتذكر بابا توثوورت الميت عندما بنوا هذه الكنيسة،

{التذمر والتأمل، إنه أحمق للقيام بذلك في عطلة البنك}

{لم أره حتى الآن يا جان ولكن أنا ممتن لتحذيري مسبقاً}

الفأر المتعفن، إلى الجحيم كلّ التكنولوجيا الحيوية،

أنا أقتل الخنازير من أجل لقمة العيش،

عشب البامباس رمز تبادل الزوجات، ومن هنا جاء اللقب

جان المجنون،

{فحص الدكتور هورفاث البواسير لدي، أنا متشائم بشأن النحل}

{ملح الأرض، هيا بنا، هنا يأتي دافنشي المخيف، القمل مرة أخرى}

{من جزيرة ترينيداد لكن الجميع، يفترض أنه من جامايكا}

{سيارة جديدة لامعة، إنسان خالٍ من الضمير}

{لا مكان لركن السيارة}

{التحفظات ستكون نقطة ضعف ذلك الرجل، طازجة من سيلك كات}

أحضروا الحجارة من بعيد، والصوان من هنا، والأخشاب من هذه الغابة بالذات، أنزل أولاد القرية ألواح الخشب ووضعوها على المقاعد بجانب زخارف الأزهار، ولوحة ترانيم ذات إطار من اللبلاب، وطاولة مذبح إلى جانب رأس الرجل الأخضر بالطبع، يبتسم في وجه المعمدان والمتزوجين، والضجرين والموتى، ويعضّ على خشب الزيزفون والبلادونا،

{تقيأ خلف القاعة}

{الممثلون ضيقو الأفق للعامة أو أصحاب القيل والقال كما أسميهم}

{في السوق منذ سبعة أشهر، الأسطورة الزائفة مارجريت، تحدثت إلى بيجي لساعاتٍ}

{نصف دزينة من صناديق فضلات الكلاب، الجميع يعرف الجميع}

{بلد بأكمله يعاني من عقدة الرجل القصير، الأخبار ليست جيدة بشأن ذعر توم}

{تنبيه جيبو، جمعنا 45.67 يورو، إنها ليست جولي إنها جولي هل تصدق}

{رائحة إله فيلادلفوس القدير}

{في صحتك يا أمي، ستاوت يعطيني الجرعات، يداعب مثل عفريت جائع}

{لا مزيد من السخرية، شكراً لكم أيها السادة، ذراعي تفوح منها رائحة المستنقعات}

{شخص ما يبكي بانتظام للنوم في منزل ثاكيراي}

{كانت غابةً ذات مرة وستعود غابةً مرةً أخرى، وخزٌ مؤلم}

{سماد مخفّض، ستعاني من التدافع}

{بيت فيكتوري جميل مع إطلالات مثالية}

{ملاءة مزينة بمرج من الزهور البرية، عقل طفل}

كان رسمهُ منقوشاً على حجارة الأساس، والصفائح الزخرفية،

والوشوم، وشعار نادي الكريكيت، وكان موجوداً على كلّ حلية إنجليزية تافهة ورخيصة، وكل طلب للنقد، وكلّ تميمة وتعويذة. لقد كان حكايةً في كلّ غرفة نوم في كلّ منزل في هذا المكان. موجود فيها وجود الماء والحيوان والنبات والمعدن. إنهم يبنون منازل جديدة، ويختصرون النفقات لكنه يظهر على نحوٍ ما ليبثّ الرعب ويضع الحدود. إنه قديمٌ قدمَ الزمن في هذا المكان.

بيت

شرعنا في دروسنا.

جلسنا في الداخل لأنّ المطر يلوحُ على بعد ميلٍ عبر الوادي.

وها هي قطرات سميكة مثل لطخاتِ سكين الرسام تندفع عبر النافذة. سحبا كرسيين إلى طاولة المطبخ.

جلسا مرتاحين. أشعلا النار، والراديو على المحطة 3.

وسادتان، قلما رصاص، كوب عصير، كوب شاي.

"آه، لاني، يا صديقي، انظر إلى هذه الصفحات البيضاء. ألا تشعر بأنك مثل إلهٍ عند بداية الخلق؟ بوسعكَ فعل أيّ شيء. انطلق إذن!" قلت. "ارسم لي رجلاً".

"أيّ رجل؟"

"أي رجلٍ تشاء. رجلٌ ما. شيءٌ بشري. لقد رميت قطعة نقود صغيرة في رأسي لأختار بين الشجرة والرجل ووقعت على الرجل، فلنبدأ بذلك".

ينكبّ بكتفيه فوق الطاولة، في حين تعانق ذراعاه الصفحة ويبدأ في الخربشة وهو يدندن همهمةً ناعمة من نصف كلماتٍ وأجزاءٍ من لحنٍ ما. يمعن التركيز. دون استعجال.

يحكّ رأسه، يجلسُ مستقيمَ الظهر ويمرر الرسم لي عاقدَ الحاجبين..

"حسناً، لنرى. نعم، أرى أنكَ رسمتَ رجلاً بالفعل. عملٌ جيد. الآن دعنا نتحدث عنهُ قليلاً ونرى ما سنتوصل إليه".

غادرت تكشيرة التركيز واسترخت أسارير لاني، وراح يصغي بفضول وعيناه مثل شعاع الربيع، خضراء فتيّة للغاية.

"حسناً، لاني. من أين تبدأ ذراعاك؟ لقد خرجت ذراعا هذا الرجل من جانبي جسده، فما رأيك؟"

نلتفّ بشكل جانبي ونبسط أذرعنا مثل طائرتين أمام طاولة المطبخ. يبتسم لاني ويومئ برأسه إلى كتفه ثم يبدأ برسم زوجٍ جديد من الأذرع يخرج من الارتفاع الصحيح، وليس من بطنِ الوغد المسكين.

"الآن، دور الرأس يا لاني. هل لي أن أطلب منك أن تفكر في جسدك وترى ما إذا كان ثمّة شيء بين رأسك وصدرك؟"

يبتسم ويشير إلى رقبته، متظاهراً بالاكتشاف.

ضحكنا. الأمرُ ممتعٌ. نقرعُ كوبينا ونرفع نخباً لصورة الرجل ذات المظهر الأفضل.

بعد أن غادَر الدرس الأول بفترة طويلة جلستُ أفكّر.

حاولت أن أعيد تجميع الهمهمة التي يدندنها لاني وجزءاً من شبه الأغنية التي يرددها:

"الليمون آه، سيارة مريرة، ليمون رر، فينم ارر، مينوم هي، ويتر كاه، فيتيكار، لكن تشاكا لكن تشاكا لكن تشاكا، ليمون آه..."

أفترض أنها أغنية إعلان تلفزيوني ما أو أغنية بوب لا أعرفها..

ربما اقتبس لاني الكلمات من أي شيء سمعه، يمتصّ أصوات هذا العالم ويصنع منها نغمات من عالم آخر.

انتظرت.

تتجمع كرات الغبار والزغب المطيعة للنسيم في زوايا المطبخ.

أتذكر كم شعرت بالكآبة في تلك الأيام المزدحمة، عندما يزداد الطلب على أعمالي فجأةً. عندما كان الناس يطلبون أشياء مني طوال الوقت. وعرفوا اسمي. لندن. و

وعدت بذاكرتي إلى الأيام التي سبقت ذلك، إلى أيام الصفاء التي تشبه هذه الأيام. تذكرت حين كنت صبياً صغيراً.

أتذكر سيدةً مسنةً شاهدت رسمتي لرجلٍ وطلبت مني التفكير في المكان الذي تبدأ منه ذراعاه تشريحياً.

تلك السيدة ماتت منذ زمن طويل.

تنهضُ الفصول الإنجليزية من غفوتها متأخرةً.

والدة لاني

يرقص لاني في الغرفة، ويغني، ويشعّ انتعاشاً.

"هلللل تعرفييين يقول، "إنّ سمكة المهرج تولد ذكوراً كلها وعندما تموت الملكة يتحول أحد الرجال إلى أنثى ويصبح الملكة الجديدة؟ إذن من الذي جاء أولاً، الذكر أم الملكة؟"

"أنا أقُولُ الملكةَ، يا حبة الفول المضحكة". وضممته إلى صدري في عناق طويل.

"ما الذي تنوين فعله، ماما؟"

لا أجيب، فيتابع تجواله ملاحقاً تيار فضوله وحيث يأخذه حدسه الصغير أو استفساراته التي تحمله مجدداً إلى الحديقة.

لم أستطع إخباره! لم أستطع أن أقول: "يا لاني، أنا أكتب مشهداً عن رجل يحاصر امرأة في حفلة. يهمس في أذنها أنها عاهرة صغيرة. يضغط ركبته على منفرج ساقيها".

أنا أؤلف أشياءً فظيعة للترفيه عن الناس. دفعَ لي الناشر مبلغاً كبيراً من المال لأكتب روايةً عن الإساءة والانتقام، بناءً على عينة من اثنتي عشرة صفحة كتبت فيها أنّ امرأةً تسمّم رجلاً قوياً وتلقي بجسده في الفرن.

كم يبدو هذا محيراً فجأة، في الأعياد، وعندما يعود ابني الصغير إلى المنزل من المدرسة، عندما أكون في الحديقة معه أستمع إلى حقائق عن سمكة المهرج. أشاهده وهو يتأرجح معلقاً رأساً على عقب في شجرة البرقوق.

زوجي يستفسر عما إذا كانت روايات الجريمة أخلاقيةً. يقول إنني أفخّم الأشياء. ما الذي أفخّمه! لا يعرف حتى الآن، لأنه لم يقرأ الكتاب.

يقول حينها إنني ألعبُ دورَ محامي الشيطان وحسب، كما لو كانت تدخلاته ملهمةً للغاية أو بنّاءة.

محامي الشيطان هو الذي يفقد إشارة هاتفه عندما يعبر النفق ويسأل عن كوب الشاي. محامي الشيطان، هو الذي يشخر بجانبي عندما أجلس لأقرأ.

أنا أم سيئة بما فيه الكفاية. أنا كاتبة روايات إجرامية جيدة بما فيه الكفاية. لا علاقة لـ لاني باعتلال الروح البشرية التي أكتب عنها. قد يرى التلوث قادماً ويخطو مبتعداً عنه برشاقة. لن يصبح شخصاً حقوداً أو حزيناً بسبب ما ورد في روايات والدته. هذا كله يدور في رأسي. ولاني يرى كلّ شيء في رأسه.

من يحكم علي؟ لا أجرؤ على التفكير في ذلك.

هل يجلس زوجي في القطار ويخشى أن تتسرب البلادة الساحقة لالتزامات القرض المضمون إلى لاني؟ أشك في ذلك. هل يشعر بالاشمئزاز والخجل من أنّ هاتفه، الذي يستخدمه لاني للبحث عن مقاطع فيديو للحيتان الزرقاء، هو الهاتف نفسه الذي يشاهد فيه الأفلام الإباحية، ويستمني في الحمام، للأسف، بينما أتظاهر بأنني أحلم بحبكة جريمة القتل؟ لا.

هذه الأعباء تقع على عاتقها هي دوماً.

والد لاني

"كيف حال لاني الصغير؟""يسألني تشارلز، مديري المباشر. ""لاني. كيف حاله، ألا يزال مجنوناً مثل أرنبٍ مارس؟"

تنتابني رغبة عارمة في لكمِ هذا الرجل اللعين لأنه يتحدث عن ابني على هذا النحو. لكن من أين أتى بفكرة أنّ لاني مجنون؟ مني أنا. ولماذا

يعتقد أنّه يستطيع التحدث على هذا النحو عن عائلتي؟ بسببي أنا.

أحدق في أرجاء لندن من الطابق الثالث والعشرين من هذا البناء الشبيه بصندوق من الزجاج الحراري. تبدو كما لو أنّ طفلاً عملاقاً قد خرب لوحة دارةً كهربائية بحجم المدينة، وألقى بعض الطوب فيها، ورشها بالتراب، وبدأ في رسمها لكنه استسلم. تنطلق القطارات إلى الداخل والخارج، وبعض الأشخاص يسرعون الخطى بحثاً عن ملجأ أو للحاق بالغداء أو إلى بقعةٍ خضراء.

إنها تأخذ نفسها على محمل الجدّ. هذا مضحك. كم أحبها.

القرية التي نعيش فيها صغيرة جداً. أقل من خمسين كوخاً من الطوب الأحمر، وحانة، وكنيسة، وأكواخ قاعة القرية الصغيرة مثل مستوطنة منفصلة، وعدد قليل من المنازل الكبيرة المنتشرة حولها. الفسحة بين المباني، والفسحة حول المباني، هذه الفسحة تبدو من هنا فكرة غير معقولة. كيف يمكن لتلك المجموعة الصغيرة من المنازل المحاطة بالأشجار والحقول أن تؤلف قرية؟

تلاشى سخطي. سيكون لاني مسروراً إذا ما قورن بأرنب مارس، يقفز وسط العشب الطويل ويلاكم ظلّه. صاحبُ الأحلام الغريبة، يثبُ متجولاً حول القرية المفتوحة.

"إنه بأحسن حال. شكراً، تشارلز. نعم، مجنون. إنه مجنونٌ تماماً. ورثَ

الجنون عن أمه".

بيت

نقوم ببعض الدروس في الهواء الطلق عندما يكون الطقس جيداً.

"ما الفصل المفضل لديك لاني؟"

"الخريف".

"آه جيد، إنه فصلي المفضل أيضاً".

نسير مبتعدين عن القرية، من خلال الفجوة في السياج حيث تقودنا الطريق التي يحفّ جانبيها القصب من مزرعة سامبسون إلى الجانب الخلفي من ملعب المدرسة، ومن ثم تنحدر الأرض بعدها.

نتوقف قرب شجرة الزعرور ألفيس هير.

"هذا يا لاني مكانٌ مهم".

"لماذا؟"

"هذه النقطة الأولى التي لا يمكن لأحد رؤيتك عندها. القرية تراقبك دائماً، ولكن بعد هذه النقطة تصبح خارج نطاق نظراتهم. فالغابة تحيط بنا من كلّ جانب. والتلال أمامنا".

تلتف البلدات الصغيرة حول بعضها فوق الصخور الحجرية التي تصعد

وتهبط لتصنع هذا المشهد اللطيف. وتنمو بعض الأشجار القديمة جداً على جانبي هذا الطريق. مثل القديسين.

تجولنا في التل الطباشيري شديد الانحدار والطحالب، وجذور الأشجار مثل وحوش البحر تبطن طريقنا، ونناقش معاً مرور الوقت.

أخبرت لاني عن شبح بن هارت الذي يركض صعوداً وهبوطاً على طول هذا المسار محاولاً العثور على حبيبته.

"ينادي بن هارت مقطوع الرأس فتاته". كنت أحول إثارة خوفه أو أن أضايقه قليلاً، لكنه أجاب بكل صدقٍ: "رائع، آمل أن نقابله".

توقفنا ورسمنا الخطوط المتشابكة لجذوع الزان، تحتنا الحجارة والعظام، وفوقنا مظلة شجرة سيينا المحترقة، وقد بدأت تتشقق.

كان هذا الطريق إلى هيلفورت فيما مضى.

تعامل الصبي ببراعة مع قلم الفحم. لقد أحبّ الطريقة التي يتلطخ بها. قال إنها تصنع ظلالاً.

نعود ونجرب، نرسم بهياكل أوراق الشجر التي جردتها الحشرات والزمن من أثوابها، نعيد بناءها بالحبر، نقطر ونغمس ونحدث فوضى جديدة لائقة.

في كثير من الأحيان يقول لاني أثناء عمله أشياء غريبة ورائعة،

بغمغم وبهمهم عباراتٍ محيرة لا يعقل أن يقولها طفل:

"أنا مليون كاميرا، حتى عندما أنامُ، أنقرُ، وأنقرُ، كلّ ثانيةٍ ثمّة شيء ينمو ويتغير. نحن وميضٌ مفروزٌ صغير في إطارٍ رائع كبير".

انفجرت ضاحكاً.

"أنت ماذا؟ من أين أتيت بهذا الكلام؟"

"لا أدري".

يميلُ برأسه ويخرجُ شيئاً كالسرّ غير المكتمل من فمه ويختفي في الفراغ ما بيننا.

يبدو لي لاني ممسوساً في لحظاتٍ كهذه.

بابا توتوورت الميت

لديه بعض القواعد، مثل عدم الوثوق بالقطط أبداً، وعدم تقبيل الغرير أبداً، وأن يلعق دائماً مبيداً حشرياً بنكهة جديدة، وأن يتناول فقط ما يتمز جدلاً، ويحرص دائماً على أن يكون بين الناس الذين يرتدون زي توتوورت في مهرجان الصيف كلّ عام مع الأزياء والوضعيات وأربطةِ وعصائرِ أولئك الذين يعبدونه، يجب أن يحرّك هو نفسه العمل المثير للعطش بسبب الاستماع إلى كلّ هذا، والمزيد المزيد من الكلام أكثر من أي وقت مضى.

{ضوضاء مزعجة، ظنوا أنّ بوسعهم بيع الحظيرة القديمة، زوجين غريبين}

{رودني كاذب يا حبيبي، جاء اللعين وسط العاصفة، البيض على وجهك}

{كلبه يدعى السير والتر رالي، اقترحت شريتا}

{الأسبوع الثاني من شهر أغسطس، نوع من الرواسب الطينية، معتوه، ذهبت إلى البلدة، طُردَ سكيفي نيك}

{طفل وحيد غريب بعض الشيء، لم يكن رفع القيود أسلوباً قروياً أبداً، عدد سكان سكاي لارك يتضاءل}

{إما نحن أو هم وهكذا هو الحال دائماً، ما الإعلانات البولندية التالية في مجلة الرعية}

{تحدق في السماء كأنها لا تستطيع أن تحتمل النظر إلينا، لا نرحب بالهواة يا مالكولم}

{تفوح من مارك رائحة الأنهار}

إنه يشعر بالعطش الشديد من مشاهدة كلّ هذا التحلل الرائع ومواكبة صرير كلّ الهراء الذي يرددونه طوال أيامهم،

{سافر إلى كل أنحاء آسيا وعاد وغداً كما رحل}

{نوع من التجشؤ يشبه الصرخة، ورمي أيل صغير على الموقد}

{إلى الجحيم كل الألواح الشمسية، العم فيل ماسوني فاشي}

{ضع الليمونادة في الأعلى وليس الشاندي اللعين، الشباك الفاخرة}

{لا يمكننا التوقف سنتين متتاليتين، لا تأمين ولا مقايضة يا صديقي}

{ثق برعايته لفلك، سئم الرجل من إيقاع ترابي}

{لنرى إن كان المطر سيسبب شقوقاً أو حفراً، قلت ما يكفي في اجتماع عيد الفصح، تشامبي رون}

{دعنا نحيي العمل السعيد، شويستر، فضيحة كبيرة لعدم توفر البسكويت في قاعات لعب الأطفال}

{يحلم بلقاء أحد المشاهير، حبوب الحبوب والمساحيق يوم السبت، يصنع مصابيح صغيرة لعيد ديوالي، اللبلاب عدو الجدران القديمة}

{جعة غينيس بول سيدر لبارنسي وجعة ستيلا لي}

حدّق داخلَ مطبخ منزل الصبي وشاهدَه يشربُ الحليبَ وراقبَ السائل البارد يتدفق إلى بطنِ الصبي، يدلفُ بحيرةَ معدته الصغيرة والكاتدرائيات الخلوية لأعضائه وعظامه. انتشى بابا توثوورت الميت من

مراقبة عمليات تروية الصبي وتغذيته. راح يدندن كلمةَ "مجيد"، يغني، وهو يشق طريقه متمايلاً عبر الغابة، يقطع في كلّ خطوة أقواساً بطول ثلاثين قدماً بين أعمدة التلغراف، مرتدياً زيّ بومةِ الحظيرة وذراعين من إطارات السيارات.

{الحيلة المذهلة للصور الذهنية}

والدة لاني

يرى روبرت أنّ عليّ عرض المال مجدداً على بيت. تجادلنا حول الأمر.

وتطرق إليه مجدداً في حفل عشاء مع غريغ وسالي.

"أخبريني، أليس من الغريب أن يعطي بيت المجنون دروساً في الرسم مجاناً لـ لاني؟"

"لا تقل عنه بيت المجنون"، هذا فظيع، كم أكره قسوة روبرت عندما يشرب ويبدأ بالتباهي أمام الأصدقاء.

قالت سالي: "هذا غريب بالفعل".

قال جريج: "لا أرى غرابة في الأمر بتاتاً. إنه بيتر بليث، لقد كان مشهوراً جداً فيما مضى، لذا فأنت تحظى بصفقة حقيقية، لا سيما إذا انسجما معاً بشكل جيد، وقال إنه يحتاج إلى رفقته، عليك أن تذعن للأمر".

"الحاجة إلى الرفقة هو بالضبط ما يجعل الأمر غريباً"". قالت سالي "هذا بعيد عن المهنية".

"بالضبط""، قال روبرت وهو يلوح بملاقط السلطة باهظة الثمن. "من يحتاج إلى الرفقة؟ هل نُقرضه ابننا لعلاجِ وحدته مثل وجبات تطوعية للفنانين القدامى المصابين بالحزن؟"

"أوه، اللعنة روبرت، كفاك. هل هو أبعد من منظورك المنكمش للعالم أن تتخيل وجود شيء لطيف بعيداً عن وساطة المال؟"

تبادلُ نظراتٍ. صمتٌ محرج.

"بالله عليك روبرت، تأقلم مع زوجتك الغاضبة وابنك الغريب".

"ليذهب الحبّ إلى الجحيم"".

ضحكت سالي الحمقاء وقالت: "لمستَ وتراً حساساً يا روب"، تبادلتُ أنا وروبرت نظرة خافتة تآمرية لأنه يكره أن يناديه أحد باسم روب.

وهكذا طرقت باب بيت.

"تفضلي بالدخول"، قال.

"لا أستطيع، سأقتل شخصاً مهماً في كتابي. لقد خرجت فقط لأعطيكَ هذا".

"و ما هذا؟"

"بعض المال مقابل دروس لاني".

"أوه، لا، لا تفعلي".

"نحن نشعر أنّ هذا واجب علينا". وكنت فخورة بنفسي لقولي ""نحن"، فخورةً بتضامني غير الصادق مع روبرت.

قال بيت "لا يجوز أن تفعلا ذلك على الإطلاق. كما قلت من قبل، عليكما فقط شراء طائر ذهبي في الربيع. لن أقبل تقاضي المال مقابل شيء أستمتع به كثيراً. لقد منحني ابنكِ السعادة. لديه نظرة ثاقبة. وأنا أحبّ أن أجعله يرى بعض الأشياء".

"إنه يحبّ ذلك. يجلس في غرفته ويرسم ويغني".

قال بيت: "جيد. أنا من عليه أن يدفع لكما إذن".

مشيت في شارع القرية متظاهرة بأنني أتحدث على هاتفي حتى لا أضطر إلى التوقف وإضاعة الوقت في الثرثرة مع بيجي حول نهاية العالم الأخلاقية القادمة، وتصورت في خيالي ردّ فعل روبرت على جواب بيت "أنا من عليه أن يدفع لكما إذن"، كم تمنيت أن أسمع جواباً مثل هذا.

أردت أن أكون مفتونةً بتعليق كهذا. أردت حفلات عشاء مع بيت وليس

مع غريغ وسالي. سهرات العشاء تلك التي لا يتحدث خلالها أحد لفترة من الوقت، ثم نتحدث عن الكتب التي قرأناها، ويغفو أحد الجالسين دون أن يبدو الأمر غريباً أو مريباً، سهرة بطيئة ولطيفة وحسب بكل ترو وقبول.

القبول هو الميزة التي تسحرني. ففي كلّ أمسية تجمّع للأهل أسأل الحاضرين، هل لاني طفلٌ مقبول؟ هل هو محبوب؟ أهو طفلٌ مريح؟

ويقول معلمه: "لاني؟ أنتِ تجعلينه يبدو وكأنه فضائي خارج عن القانون. لاني رائع، مريحٌ ومحبوبٌ للغاية، كما لو أنه بيننا منذ الأزل"".

بيت

"أكره رائحة المعدن يا بيت".

يتمتم بينما نجلس ونؤرجح أرجلنا فوق حافة طباشيرية في غابة هاتشيت. القرية عبارة عن شبكة متصالبة مع القلبين التوأمين للكنيسة والحانة في الوسط. لجأ إليها أربعمئة شخص من الحقول، متشبثين ببعضهم من أجل الدفء. صناديق القرميد الأحمر والمزارع النائية، المنزل الكبير، ساحة الأخشاب، حفنة من العيوب الزراعية القذرة على الثوب المرقع الأخضر لهذه المنطقة. إذا نظرت إلى القرية من الأعلى وتخيلتها رجلاً، لكان شعرُه غابةَ هاتشيت. ونحن جالسان فوق رأسه.

"إنّ رائحة المعدن تخيفني"، قال لاني.

في غضون لحظات عدتُ طفلاً ورحت أشمّ رائحة كفي. حديد الدم، عملات معدنية، مسامير ودبابيس. جنودٌ مدجّجون بالرصاص والابتسامات الصدئة.

رائحة المعدن عالقة على شفتي وأصابعي.

كان والدي يطلب مني أن أحصي نقوده النحاسية يوم الأحد. تتأرجح الذاكرة مثل الدفة الترابية القاسية ثم تنزلق مع هديرٍ وصدعٍ وترحل مع الريح.

أقول: "يا إلهي، لاني. أنا أكره رائحة المعدن أيضاً. أحتقر رائحة المعدن على يدي".

"لماذا يدعونك بيت المجنون؟"

"ها! لا أدري يا صديقي. لا أعتقد أن تغطية جميع الأشجار بجانب ملعب الكريكيت بطلاء القصارة بعد العاصفة العظيمة أسدى لي معروفاً على الإطلاق. على أية حال، أنا لا أمانع. بيت المجنون أفضل من بيت السيء.. أو بيت الحزين.

حسناً. ولكن هذا ليس عدلاً، بالنظر إلى مدى جنون بعض الناس في هذه القرية.

"مثل جين كومب".

"بالضبط! إنها ترتدي زي سانتا كلّ يوم من أيام السنة وتحمل عصا غولف في سلة الخوص ولا أسمع أي شخص يناديها باسم جين المجنونة".

والد لاني

أنا مستيقظ، أفكر في الأرباح الفصلية وراكبات الدراجات الأولمبيات. أسمع صوت خطواتٍ فوق الحصى، ثقيلة جداً بالنسبة لثعلب، وخفيفةً جداً بالنسبة لرجل. أقفز من السرير، أسير إلى الجانب الآخر من الغرفة وألقي نظرة خاطفة من الستارة،

ما هذا بحقّ الجحيم؟

سارعت على أطراف أصابعي عبر غرفة النوم، وهبطت السلم إلى الطابق السفلي أحاول عدم إصدار أي صوت. لست متأكداً من السبب. أذهب إلى المطبخ وأخرج من الباب الخلفي المفتوح.

إنه في أسفل الممر يتجه نحو المرج.

أتبعه تاركاً مسافةً آمنة. يسير باتجاه شجرة البلوط العجوز.

يركع ويضغط أذنه عليها. هذا المكان كله مضاء بمصباح الأمان ويبدو جميلاً مثل مشهدٍ من فيلم.

يستلقي لاني على الأرض ويتحدث إلى قاعدة الشجرة.

أسير قربه بخطوات ثقيلة وأسعل قليلاً حتى لا يُفاجأ.

"لاني؟ لاني أنت تمشي أثناء نومك".

استدار نحوي وعيناه الخضراوان تومضان وقد استيقظ تماماً.

"أوه، حقاً، هل أمشي أثناء نومِي؟"

"ماذا؟ لا أدري. ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟"

"أنا صاحٍ يا أبي".

"نعم، لقد أدركت هذا الآن لاني. أتساءل ما الذي تفعله هنا. افترضت أنك تمشي أثناء نومك. إنه منتصف الليل".

"سمعت صوتَ الفتاة في الشجرة".

"ماذا؟"

"يوجدُ فتاةٌ تعيش تحت هذه الشجرة. تعيش هنا منذ مئات السنين. عاملها والداها بقسوةٍ، لذا اختبأت تحت هذه الشجرة ولم تخرج أبداً".

"حسناً أيها المجنون. هيا بنا".

لم يبدِ أيّ مقاومة وأنا أحمله. كان يتجمد من البرد.

قلت بينما أسير عائداً إلى المنزل: "لاني، لا يجدر بك أن تتجول وحدك في الظلام".

"هل سمعت صوتها يوماً؟"

"لا. أعتقد أنك تتخيل الأمر. لا أحد يعيش في الشجرة".

حملته إلى غرفته، وضعته في سريره تحت اللحاف وأضفت بطانية أخرى، وأعطيته دبّه القطبي المحشو.

"أبي؟"

"اخلد إلى النوم الآن".

"أبي؟"

"نعم، لاني؟"

"أيهما أكثر صبراً في رأيك، الفكرة أم الأمل؟"

انتابني فجأة شعور بالانزعاج. إنه كبير جداً على هذا الهراء. أو صغير جداً. هذا سخيف.

"اخلد للنوم لاني، ولا تنهض من السرير. سنتحدث عن هذا في الصباح".

بقيت مستيقظاً والقلق يأكلني، أتخيل ابني مستلقياً على العشب البارد

يهمس إلى شجرة.

"أيهما أكثر صبراً في رأيك، الفكرة أم الأمل؟"

ما خطبه؟

بيت

إنها فكرة لاني. لعبة يلعبها مع والديه في السيارة. علينا أن نروي قصةً معاً، جملةً تلو جملة.

نرسمُ وعاءً من الخوخ وأحاول أن أجعله يبطئ قليلاً. أطلب منه ألا يشعر بالذعر إذا كان الرسم الناتج على الورقة لا يبدو شبيهاً بما يراه.

"ابدأ من جديد. اهدأ. أرخِ معصمك".

أخبره أن أفضل رسمٍ لثمرة الخوخ على الإطلاق قد لا يشبه أي ثمرة خوخٍ رآها الفنان. انظر إليها وحسب وفكّر في كونها ثمرة خوخ، جوهر الخوخ المادي في الحيز الخاص بك، والضوء المنعكس من الخوخ إلى عينيك، ومن ثمّ ابدأ الرسم وانظر كيف سيبدو هذا الشيء الخوخي واخلق بنفسك الخوخ كما تراه، لا كما يجب.

يرفع حاجباً في وجهي ثم ينظر إلى الخوخ. أكاد أشعر بالشفقة على الخوخ المسكين القابع هناك في الوعاء دون أن يتمكن من الدفاع عن نفسه ضد نظراتنا الفاحصة.

أبدأ اللعبة:

"ذات مرة كان هناك رجلٌ يدعى آبيل ستين".

يُجيب لاني دون أن يفوته شيء" "حكاية آيبل ستين".

"هل هذه عبارتك، أم أنك تسخر من عبارتي فقط؟"

"آسف. إنه العنوان الذي يمكن أن نطلقه عليها. إنه عنوان جيد".

"أنت على حق".

أنا: " هذه حكاية آبيل ستين. ذات مرة كان هناك رجلٌ يدعى آبيل ستين".

لاني: "كان لديه ثلاث بنات وجميعهن جميلات جداً".

أنا: "لكنهن فظيعات. ابنتان فظيعتان، وابنة واحدة لطيفة".

لاني: "اللطيفةُ تدعى باربرا".

ضحكتُ.

"آسف، آسف، لاني. لقد فاجأتني وحسب. لم أتوقع أن تطلق عليها اسم باربرا. مهلاً، سأحضر كوباً من الجعة".

ذهبت إلى الخزانة وفتحت زجاجة ستاوت. عدت فوجدت لاني قد

جمع كلّ شعره أمام وجهه وراح ينفخ على قلمه كأنه سيجار جولواز في حامل ويقول:

"مرحباً، اسمي باربرا وأنا ألطف بكثير من أختيّ الفظيعتين".

انفجرت ضاحكاً فتناثرت البيرة من فمي فوق الخطوط العريضة الجميلة لثمرة الخوخ التي رسمتها.

بابا توثوورت الميت

إنه داخل الظلّ وخارجه، يرتدي جوارب من الطحالب، ويكسو جلده بالحصى، يحدّق في قاعة القرية متأملاً صوره في المسابقة السنوية. لا مزيد من التوثوورت بزيّ جاك الأخضر والوجه المغطى بدغلٍ من الأشجار، توجد الآن رسوم كوميدية لأشياء قذرة تفتقر إلى السحر تحمل البنادق، ولها أنيابٌ وسكاكين بدلاً من الأيدي، وثمة أرانب ميتة مربوطة حول خصره (تلك كانت الأيام الخوالي). إنها رسوم وحوش مبنية على الخوف المستورد، وعلى مشاهد الرعب في التلفاز والألعاب والقصص المصورة، بمنأى عن الإيمان الحقيقي. يتذكر باعتزاز كم كان يبدو أكثر رعباً عندما رسمه أطفال القرية أخضرَ ومورقاً، حينما وُلدَ من ثغراتٍ مظلمة في كوابيس مدرسة الأحد، واختنق بالأغصان المعرشة التي تنمو من فمه، وتذكر التهديد والعذاب اللذين ينموان معاً، وشيطان الشجرة، العم والأب، ملك الزعرور والجنجل، الحصاد والأمل، الخوف من

الموت جوعاً،

عليك أن تتلو صلواتك وأن تكون ولداً طيباً أيضاً، وإلا جاء بابا توثوورت الميت ليقبض عليك.

إحدى اللوحات ترسمه ببساطةٍ على هيئة رجلٍ عجوز مبتسم ذي لحية. هذا مُشين. يبتسم بابا توثوورت الميت ويهمس: هذا بنيّ،

{التخريب المتعمد النقي والبسيط}

{نقار الخشب الغريب، أرخص عباءات الكاهن}

{كانت في فيلم مع ذاك الذي نسيت اسمه من الفيلم الذي تعرفه أنت ويعمل في التمويل}

{لم تحصل أخوات ويليس على مذكرة الورم المخاطي، ولم يرتدين يوماً فروةً تحتية في الواقع}

{فوز آخر للسندات الممتازة}

{جزّ تنجيد، تسييج، سمّها ما شئت، محاضرة بول عن المنجم القديم ليست مثيرة للاه تمام تماماً}

{ديك الجدّ، الفرقة تتمرن أيها السكير النتن، شاحنة المجلس الأقل رصداً}

{شخص ما يصرخ دوماً في وجه زوجته في كوب كلوز، القصّر غير المصحوبين بذويهم}

{أنا وغليندا نسحب دعمنا لمشروع تجديد حبل الجرس}

{لتذهب إلى الجحيم كلّ الاستشارات الزراعية، أشرب مع أوسكار، تعال وشاركنا}

{قبل الممر الجانبي يمكنك أن ترى الضفادع تشق بمرح}

{أسوأ مبيعات للمصنع منذ عقد من الزمن}

في لوحة أخرى، لديه جذع نازفٌ بدل اليدين، وكلمات تلتف من حوله، مثل لافتات الصلاة المبطن التي لم يعد أحد يصنعها، تروي قصصاً يائسة عن يسوع لم يعد أحدٌ يرويها.

{اقطع، اقطع، اخبط، اخبط، توثوورت قادمٌ مع لوح التقطيع}

{اقطع، اقطع، اخبط، اخبط، سيغلي عظامك ليصنع مرقاً وحساء}

{نعم إنه يتقاضى راتباً كبيراً لكن المدرسة من مستوى أوفستد}

{حسناً وداعاً، لقد بدأت أعمال الصابون الخاصة بي، مشط اللورد المتعجرف وعاهرته الشقراء}

{ينحدر من الطيور الجائعة، الأسلاك الشائكة هي الإجابة الوحيدة}

{نحن نغذي الأشياء ببطء ونقتل الأشياء بسرعة}

{يغسل سيارته الساب، مذاق البيرة المحلية ناسبا مُقرف، الفتى غريب الأطوار}

{القربان المقدس - القربان المقدس - حتى الترنيمة}

{صوت الجهير صوت الجهير، الوقت مناسب دوماً للنهوض}

{تعرض ابن بوين لضربات لا تعد ولا تحصى وهو يحاول الانقلاب على الزلاجة، المزاريب مسدودة بسبب السنجاب المتعفن}

{أوصي بألوان فيرونيكا الثابتة لتلوين حدودك}

{اجتماع مرتجل لمجتمع الألوان المائية}

{الأحمق العجوز المجنون، مشروع}

{ لا أمانع إذا دفعوا ضرائبهم، بعض فنون التوبياري الممتعة}

يغادر القرية ممتطياً الروائح المنبعثة من المطابخ، يدوز ويركبُ الأمواج، يفوخ ويتلوى، من لازانيا جيني إلى ستروجانوف لارتون في الميكروويف، ووعاء ديريك الساخن لشخصٍ واحد، يا لها من صلصاتٍ غنية، مع الكثير من السكر، لم تكن الأطباق يوماً متنوعة قطّ كاليوم، واللحوم الميتة منذ مدة ليست بالقليلة متبلة بنكهاتٍ فاخرة. يضحك،

نحلات القرية المشغولات المضحكات يحشون وجوههن ويواظبن على إعادة بناء واستبدال الأشياء إلى ما لا نهاية. ما هنّ إلا أكياس تسوقٍ وأكياس قمامة. يشعر بالإهانة من رائحة صلصة الجالفريزي التي تقدمها بام فوي لدرجة أنه يمزق القليل من جلده الكابوس ويدفعه عبر نافذتها. حلم فظيع حقاً. "نامي بهناء يا بام"، يضحك وهو يطفو عائداً إلى المنزل عبر الحقول.

والدة لاني

أخذت لاني من المدرسة وعدنا إلى المنزل ثم جلست أعمل. بعد برهةٍ سمعت صوت ارتطامٍ من غرفته فصعدت وقلت: "أوه، اعتقدت أنك ذهبت إلى بيت، ألن تذهب اليوم؟"

كان جالساً على سريره. نظر إلي ووجهه مكفهرّ مثل قطعة من الورق الساخن وشرعَ في البكاء.

"لاني؟" ركعت أمامه ووضعت يدي على ركبتيه الذهبيتين الصغيرتين، ركبتيه الصبيانيتين الملطختين بالعشب.

"لاني، ما الخطب؟"

فرك عينيه ومسحهما مبللاً قبضته بدموعه.

"لا شيء".

"لاني، ما الخطب؟ أخبرني"..

"أنا -- لا شيء".

"صغيري، ماذا حدث؟ يمكنك أن تخبرني أي شيء".

تنفس بعمق مرتعشاً ومسح وجهه المبلل بالدمع والمخاط.

"كسرت شيئاً لـ بيت".

يشعر لاني بالحرج الشديد لدرجة أنه ينطوي على نفسه. لقد استبدل نعمة الهناء بالانزعاج الكريه والفكرة التي طرأت في عقلي أنه يكبر في السن وحسب، إنه يتخلص من جلد الجني. لا أستطيع أن أتخيل لاني مراهقاً.

لا أستطيع أن أتخيل أن هذا الصبي رجل بالغ.

"ما الذي كسرته؟"

"جهازه الاستريو الفيكتوري".

"ستيريو؟"

"لا، آلة التصوير ثلاثي الأبعاد السحرية، مع صندوق العين، سقط لسان صندوق العين وكُسر الزجاج وأنا أعدته إلى مكانه دون أن أقول شيئاً".

"هل تقصد المنظار المجسم الذي يحوّل الصورتين إلى صور ثلاثية

الأبعاد؟ لاني، حبيبي. أولاً، لقد كان حادثاً، وثانياً، بيت مغرم جداً بك وأنا متأكدة من أنه يفضل أن تخبره الآن. من الأفضل دائما أن نكون صادقين".

"بالضبط! لم أخبره، بل تسللت هارباً. مثل شخص كاذب. هذه وقاحة مني".

"كفّ عن ذلك. لست وقحاً".

نزلنا إلى الطابق السفلي، ارتدينا أحذيتنا، وغادرنا المنزل. مشينا بسرعة على الطريق. لم نتكلم، لكن لاني التصق بي بطريقة لم يفعلها منذ سنوات. إنه مطيع ومتوتر، وليس الابن الحرّ المحارب الذي اعتدت عليه.

طرقنا الباب.

فتح بيت الباب وبدا ذراعاه ناصعي البياض. ذراعان مطليان بالجص.

"مايسترو! لقد ظننت أنك هجرتني. والدة المايسترو! ما سبب هذه الزيارة السارة؟"

دخلنا وغسل بيت ذراعيه وعرض أمامنا الجمجمة ذات اللون الأبيض الطباشيري التي كان يصممها على هيكل عظمي من الأسلاك. أحضر الشاي وجلسنا جميعاً على طاولته.

"بيت، يودّ لاني أن يعترف لك بشيء".

"أوه يا إلهي، يَبدو في الأمر مصيبة. كنت تسرق أعمالي الفنية الثمينة، أليس كذلك؟"

مرّت لحظة مثل نغمة التشيلو، عندئذٍ. دافئة وبليدة ومليئة بأشياء أخرى. لا أحد يتكلم لكننا جميعاً نصغي.

تململ لاني. نظر بيت إلي وعيناه الزرقاوان تشعان بالثقة والذكاء. يذكرني بقارب صيد قديم.

ابتسم. "هيا يا فتى، إن الفضول يقتلني".

"لقد كسرتُ منظارك المجسم".

"كسرت ماذا؟"

"لقد حركت قرص العين لتقريبه وسقط الجزء العلوي بالكامل وتحطم الزجاج بداخله".

"لاني. المنظار المجسم؟"

جحظت عينا بيت مدعياً الغضب وشدّ قبضته.

"يا إلهي، لاني، هذا المنظار المجسم، منظاري المجسم الثمين، استلمته من متجر أوكسفام الخيري الخاص بعمة عمتي الكبرى وكلفني حوالي أربعة جنيهات ونصف. لا أبالي إن كسرته. يا إلهي، ظننت أن كارثةً

وقعت".

أصبح وجه لاني ورديا مثل الفجل ونقل نظره بين بيت وبيني ثم انفرجت أساريره قليلاً.

"فيووووو".

"فيووووو؟" قال بيت، وانفجر ضاحكاً يطرق الطاولة ومدّ يده ليصفع رأس لاني مازحاً.

قلت: "فيوووووووووو. أرأيت يا صغيري، ألم أقل لك؟ لا داعي لانهيار عقلي كامل".

"انتهت الأزمة"، قال بيت. "الآن، شمّر عن تلك الأكمام قليلاً ولنصنع بعض الفوضى".

بابا توثوورت الميت

يقدم لكم بابا توثوورت الميت، المؤرخ المحلي ومنخل الدبال العتيق من الجيل الرابع والسبعين، زجاجة فانتا برتقالية زاهية هدية مع كل جولة سياحية في القرية.

"اصحَ يا رجل، لا يزال هناك الكثير لرؤيته".

إنه يقلّد الأصوات.

(كان لهذا المكان لهجة مميزة حتى وقت قريب، وعبارة "yop buck"، لا يزال بإمكانك سماعها على ألسنة حفنة من القرويين).

يروي المكانُ حكاية الأزمنة الماضية للغطاء البلاستيكي المدهش. يحيي الحكايات ويستعيد القصص من الذاكرة الجزيئية للقرية.

كان المكان هنا بين أجمات الشوك المقطوعة مكتظاً بشجيرات البندق وبعض شجيرات البهشية، والفؤوس الدنماركية، فقدت بيب إصبعاً بسببها. هنا كان طريق القرية القديمة، قبل حفلة الموت الأسود، هذا السنام هو الجدار الخلفي للمسكن الذي حتى أنا لا أستطيع تذكره.

وهنا حجر رحى بارز التفاصيل مصنوعٌ من حجرٍ غير محلي. كان هذا كله حقلاً مفتوحاً، قادت ماتيلدا شاحنتها الويلموس إلى هنا وسحبت سلاحها الصغير، أحاطت بالسياج نصف فدان، فرلنغ صغير من الأرض المحروثة القبيحة (الفرلنغ وحدة قياس إنجليزية تعادل حوالي 201 متر)، تحتلها شجيرات الزعرور البري وفي الوسط توجد بركة، حيث تعرّض جندي روماني للاغتصاب من قبل قائده.

كنا في الحقيقة على بعد سبعة أميال من الطاحونة التي حددت مكاننا، يحيط بي خشب الزان على يساري وخشب الزان على يميني مثلما أحاط تابوت خشب الزان بزوجتي.

آه نعم أذكر تلك الأيام، تلك الحقائب السوداء الصغيرة جداً التي تزين

السياج هي في الواقع حقائب فضلات الكلاب التي أهدانا إياها براين وفاي وكلبهما، دفعوا رسوم ترخيصنا، ودفعوا ضرائبنا...

"يا له من مكان جميل"، يقاطعهُ غطاء الفانتا...

"جميل؟" يصرخ توثوورت موقفاً الجولة، ويأخذ شكل شاعر إنجليزي معروف يحمل خريطةً مضادة للماء ويرتدي سترة فيروزية خفيفة: "ما معنى الجمال يا صديقي شبه الاصطناعي؟ المرض والانحلال والاستغلال؟ نسيج من المفاسد الصغيرة، المعارك والقاذورات، حِملُ بحيرةٍ من المواد الكيميائية غير الجاهزة تصبّ في سريري المائي، إنه الجشع والانحطاط، الوعظ، التعاليم، العويل، الاحتضار، وأخذ الكلاب السخيفة في نزهة، التكاثر والرغبة والعمل و...."

راح غطاء الفانتا يصفرُ بهدوء أُغنيةً حربية. لقد توقف عن الاستماع إلى توثوورت الممل، توثوورت، ذلك الدليل الصوتي المتعجرف.

قاد روجر دي سانت جون ذات مرة سيارته عبر هذا الطريق للبحث عن بعض الأسيجة وسمع يقول "يا لها من نزهة لطيفة إلى الوادي، مكانٌ جيد للصيد غير المشروع، شجرة الغبيراء المسكونة تنمو ياردة واحدة كلّ عام، والحدود السكسونية، وقبو مخزون العلف الخرساني، والكثير من الأطفال لمعلم واحد فقط، وكل عام يزداد الطلب على الخصوصية، والنطاق عالي السرعة، وعلاجات ضعف الانتصاب والاكتئاب، والحدود

غير الآمنة، والخضروات المستوردة، والحنين إلى التوسع".

يتمايلُ بابا توثوورت الميت مع النسيم والتجاعيد التي تمتد لقرون عديدة من ذاكرته كلها تميل نحو الطفولة؛ قام هنري بيريسفورد القوي المولود عام 1426 بقطع ثلاثة آلاف بلوطة في حياته، ويفهم الصبي هذا الجهد وهذا العمل. ولد جايلز مورغان المحتال عام 1956، مزود بوفرة من الضوء الطبيعي للمطابخ وتحويلات الدور العلوي منخفض السقف، سيموتُ في سريره بسبب تعفن رئتيه، ويرى الصبي ذلكَ بكل تسلسلٍ ووضوحٍ. لم تكن جيني سافاج ذات المخاط المولودة عام 1694 ساحرةً، لم تكن ساحرةً على الإطلاق، بل مجرد طباخة فضولية، ويشعر الصبي بذلك أيضاً، يفهم دون أن يعرف ما إذا كانوا على قيد الحياة أم موتى في المنزل المجاور. الصبي يفهم. يبني مخيمه السحري في الغابة هديةً لهم جميعاً. لا بدّ أنهم يعبدونه! إنه متناغم مع الوضع العام، ويمكن أن يشعر بمزاجِ المجتمع المتوتر.

هل تفهمني؟ حدسه؟

لاني جرينتري إن طباعكَ المعجزة تذكرني بنفسي. تشبهني. هل تفهمني؟

اختفى غطاء الفانتا.

يقف توثوورت وحيداً. إنّه صغير، بحجم نبضِ أبي الحناء، بل أصغر،

بحجم الهواء الفارغ حيث كان أبو الحناء يحلق في وقت سابق من اليوم، بحجمِ ذاكرة ذرّةٍ من النبض، وأصغر من الضوء.

إنّ الفتى يعرفني.

يعرفني فِعلاً.

بيت

نحن في الغابة. لو تركنا له حرية الاختيار، فإن لاني سيختار الغابة دائماً.

لقد حدثته عن الأخوات ويليس غريبات الأطوار اللواتي يحتفظن بالأرانب الشيطانية في دفيئاتهن للتجسس علينا.

فعاد إليّ بقصة عن الغابات التي تعرف ما إذا كان الشخص جيداً أم سيئاً. حيث تبقي الإنسانَ المحترم على قيد الحياة، وترشده إلى الماء والطعام. في حين تقتل الشخص السيء على الفور وتتحد كلّ قوى الغابة ضد المحتال النجس.

"يمكن أن أقول الشيء نفسه عن مدينة كبيرة"، قلت لنفسي.

رحت أخربش في دفتري بقلم تحديدٍ رفيعٍ جديد ولطيف، أرسم خطوطاً متقاربة وحواف صغيرة وعناقيد، أستمتع بدفء معطفي وأنا أرسم العقد الصغيرة الشبيهة بالسرة على جذوع أشجار الزان، تبدو

مثل تلالٍ قديمةٍ من الأعلى، أو مثل الثآليل، أحاول جعلَ لاني يستمتع باستخدام القلم دون أن أسمح له بفركه، إنه مولعٌ بفرك القلم، وكنت أحاول أن أظهر له كيف يمكنه الاستمرار في البناء، واستخدام الظلال، والتعامل مع الخطوط إذا ما أخذت منعطفاً خاطئاً، أريده أن يستمتع بوضع العلامات، أريده أن يترك معصمه حراً بعض الشيء. مهلاً، أين ذهب؟

"لاني؟"

أنا وحدي هنا.

كراسة الرسم خاصته مفتوحة بجانبي. أشعر بشحنة عصبية في الهواء. شعورٌ بالذنب. مثل شعورك عندما تصادف غزالاً في الغابة ويختفي الغزال وتظلّ واقفاً مكانك كتلةً من الضجيج البشري وشعورٌ ثقيل بالعار يعتريك.

يا إلهي لقد أضعته. أين اختفى؟

"لاني؟"

ثم من مكان بعيد في الأعلى، سمعته ينادي:

"يوجد نحلٌ هنا!

يوجد نحلٌ هنا!

بيت، يوجد نحلٌ هنا!"

يبدو طوله خمسون قدماً، وهو يتسلق قمة شجرة كستناء ضخمة، فيبدو مثل ملاك الخداع البصري في لوحة الغابة.

فوقه أستطيع أن أرى باشقاً يحلق في السماء اللازوردية.

ابق هناك وتمسك جيداً أيها المجنون الصغير أريد أن أرسمك.

والدة لاني

يدخل لاني يدندن ويهمهم مثل جهاز الإرسال الغريب الذي يشبهه. أقوم بتصغير المستند حتى لا يتمكن من القراءة من فوق كتفي؛ إذ كنت أكتب مشهداً قامت فيه بطلة روايتي بدفع سياسي فاسد أمام قطار ومن ثم - بعد ساعات - عُثر على قطعة صغيرة من جمجمته عالقة في حقيبتها القماشية التي تحمل شعار متحف فيكتوريا وألبرت.

"مرحباً يا دميتي، اعتقدت أنك تلعب كرة القدم مع آرتشي وتوبي؟"

"كلا. شعرت بالملل. هل يمكنني إخبارك سراً؟"

"أحب ذلك، نعم من فضلك".

"كدت أخبر بيت لكني فضلت أن تكون مفاجأة ولا أريد أن أخبر أبي لأنه قد يعترض".

"حسناً، وما الذي يجعلك متأكداً من أنني لن أعترض أيضاً؟"

"أنتِ قلّما تعترضين".

"يمكن أن أبدأ الآن. هيا. أخبرني؟"

"أنا أبني تعريشة".

"ماذا؟"

"مثل التعريشة التي تعشش فيها الطيور. أنا أبني مخيماً مليئاً بأفضل الأشياء التي وجدتها، مثل متحف صغير للأشياء السحرية".

"نعم، فهمت قصدك. في الحديقة؟ هل بدأت؟"

"كلا، في مكان سرّي. لقد كنت أعمل على ذلك منذ زمن طويل".

"هل يساعدك آرشي؟"

"لا. مستحيل".

"وطائر التعريشة يصنعها من أجل أنثاه، أليس كذلك؟ لإثارة إعجاب الأنثى. هل لي أن أسأل من الأنثى المحظوظة عصفورة لاني؟"

"رررر، لا، إنها للجميع. إنها للقرية بأكملها ولكلّ من يجدها. الغرض منها أن أجعلهم يقعون في حبّ كلّ شيء. إنها مشروعي الأكبر حتى الآن".

"أكبر من كتاب التعاويذ؟"

"إنهما مهمان بالقدر نفسه ظاهرياً فقط. لقد سرقت بعض الخيوط وعيدان الثقاب والأغطية البلاستيكية من المرآب. آآآآسف".

انسحب متسللاً إلى مكانٍ ما، يغني، وأسرعت أنا أفتح كتاب الرعب ورحت أكتب وأكتب وأكتب وأكتب وأدرك بمزيجٍ غريبٍ من الارتباك والفرح أنّ لاني مصدر إلهامي.

والد لاني

استيقظ لاني باكياً بسبب قصة شبحٍ رواها له بيت عن المحتالين في الغابة.

"ما هذا الذي يزرعه ذلك الرجل في رأس لاني بحق الجحيم؟" سألتها.

"نعم، أنا أفضل كثيراً نهجكَ في تجاهله أمام التلفزيون والتحقق من رسائل بريدك الإلكتروني".

"ماذا؟"

"لا شيء، عُد للنوم".

هذا ما آلت إليه الأمور الآن؛ بيت الساحر، والأب الدنيوي.

الحقيقة، أنها على حقّ.

ذهبت إلى هناك يوم السبت لأحضر لاني إلى المنزل لتناول الغداء و تبادلنا أطراف الحديث أنا وبيت العجوز. كان يطلي ألواحاً من الخشب المضغوط، فعرضت المساعدة، في حين كان لاني يرسم مينوتوراً ضخماً على ورقة ملصقة على الأرض. تحدثنا عن هذا وذاك، وعلمني كيف أحصل على تشطيب سلس جيد على الألواح، وكان يدندن، وتناوبنا في مسح جانب الألواح بقطعة قماش، ومرّت ساعة فجاءت زوجتي تسأل لما لم نحضر لتناول الغداء..

أحضر بيت رغيفاً من الخبز وقطعة كبيرة من الجبن، وأكلنا، ومنح لاني وحشهُ العملاق ملامح الحياة بتوجيهات سريعة من بيت.

ثم غادرنا، وتحدثنا مع بيجي لمدة عشر دقائق حول احتمالِ محاكمةِ الشخص الذي يرمي القمامة في غير مكانها ويتخلص من الأرائك قرب هارلي لين، وما إن وصلنا إلى المنزل وأحضرت لنفسي زجاجة جعة حتى أدركت أنها كانت أجمل بضع ساعاتٍ في حياتي.

لم أفكر في العمل، ولم أتحقق من هاتفي، واستمتعت بالرسم، ثم فيما بعد ظهر ذلك اليوم تسللت أنا وهي إلى الطابق العلوي ومارسنا الحب باستغراقٍ مع الكثير من القهقهة والثرثرة، وبدت الحياة في القرية جميلة فجأة.

والدة لاني

لقد شعرت بالاكتئاب حين انتقلنا إلى هنا. شعرتُ بالسقمِ بعد ولادة لاني وعادت تلك المشاعر إلي حين انتقلنا.

شعرت أنني فارغة، ضئيلة، مطاردة. راودتني أحلام مرعبة. شعرت أنني مراقبة طوال الوقت وثمة من يحاكم أفعالي، وحتى عندما أخرج إلى الحقول والغابات أشعر بوجود من يترصدني. لعنتُ سذاجة انتقالي من لندن إلى القرية على أمل أن أجد هنا أو في داخلي الهدوء والسكينة.

أول ما اكتشفته أنّ القرية صاخبة. طيورٌ مزعجة، ملعب مدرسةٍ صاخب، آلات زراعية صاخبة، طرقٌ لا نهاية له على الباب، قرعٌ وطرق على مدى الساعات. في الأشهر الأولى اعتدت الخروج والجلوس على مقعد يطلّ على المرج، والخوف لا يفارقني وأنا أنتظر خروج لاني من المدرسة لكي يعلمني كيفَ أعيش. ومرة أو مرتين تلقينا مكالماتٍ خادعة. حسناً، شخصٌ ما اتصل بي. خرجَ روبرت إلى العمل، وكنت وحدي في المنزل، رنّ جرس الهاتف وعندما أجبت اكتفى المتصل بالصمت. لم أسمع صوتَ لهاثٍ ثقيلٍ أو كلمات نابية، ولكن كان هناك شخص ما بالتأكيد. أسمع أحياناً صوت خشخشة أو حركة، وأشعرُ بوجودِ شخصٍ على الطرف الآخر لا يقول شيئاً، لكن كنت متأكدّة من أن هذا الشّخص يعرف أنني وحدي في المنزل. لم أخبر روبرت لأنه يعاني أساساً من الكثير من نوبات الهلع في منتصف الليل، ويفحص الأبواب ويشعر أنّ الناس ينظرون إليه. وكم حاولَ أن يتأقلم. خطرَ ببالي أنّه ربما هو

المتصل، يتصل من العمل، ويطارد زوجته من الممرات المغطاة بالسجاد في المدينة. على أيّ حال، توقفت تلك الاتصالات. ربما لم أكن ألعبُ دورَ ربة منزل خائفة لديها ما يكفي من رباطة الجأش.

ذات صباح سمعت صوت صرخةٍ ضعيفة. ضجيج مزعج. أصوات حيوانات. لم أعرف مصدر الصوت. لم أعرف ماذا أفعل. شعرت أنني بحاجة إلى الرقم الساخن لنصائح الحياة الريفية يمكنني الاتصال به: مرحباً، أسمعُ صوتَ صراخٍ ضعيف، أنينُ وحشٍ صغير، وأنا ممثلة مكتئبة عاطلة عن العمل وزوجي ابن المدينة لا يميز البقرة من الخنزير.

كان قنفذاً عالقاً في البالوعة. لم أفهم كيف وصل إلى هناك. كان مجهداً.

يحتضر. لم أتمكن من رفع غطاء البالوعة. ولم أجد وسيلة لإخراجه. فكرت أن من الأفضل أن أطلق النار عليه لأخلصه من بؤسه، لكن بالطبع لم يكن لدي سلاح.

فكرت باستدعاء جمعية الرفق بالحيوان لكنهم سيسخرون مني لأنني أحضرتهم من أجل القنفذ المحاصر، الأحرى بي أن أتصل في حال وجود كلاب مسروقة وصقور جرحى، أو عند اصطياد الثعالب من قبل مهووسين من أصحاب الأرض هنا، الجيران من أصحاب الرتب العليا وأزياء الفروسية. ظننت أنه ربما عليّ أن أضع شيئاً ساماً في البالوعة،

أنتظر حتى يموت، ثم يتعفن، ثم يختفي، لكن ما السم الذي يقتل القنفذ؟ وكيف أقنع القنفذ بأكله؟ جلست في الحمام وبكيت وعندما خرجت توقف القنفذ عن الصراخ.

***

يبدو أن طياراً آلياً قاتلاً تولى زمام الأمور. ارتديت قفازي المطاطي وأحضرت سكين النحت. خرجت، وركعت فوق البالوعة وطعنت القنفذ عدة مرات في الجسم والرأس، وأنا أحاول ألا أنظر، وأن أتجنب التنفس بعمق. تابعت العمل. طعنته وقطعته من خلال الفجوات في غطاء البالوعة حتى أصبح القنفذ شظايا من الدّم والأشواك والعظام الصغيرة وقطعاً لامعة من اللونين الوردي والأبيض. تابعت العمل وقطعت القنفذ ملياً حتى بدا من الممكن أن أشطف بقاياه بالماء. وضعت السكين والقفازات في سلة القمامة، وغليت الماء في الإبريق وسكبته في البالوعة. تذكرت حين كنت أمرّ بالمسلخ في البلدة الصغيرة التي نشأت فيها، حيث كانت الدماء الوردية تتدفق في الشارع قرمزية مقززة في بعض الأحيان. أخرجت السكين من سلة القمامة وهرست القنفذ أكثر قليلاً، ثم جربت إبريقاً آخر من الماء المغلي. احتاج الأمر إبريقين آخرين وعشر دقائق أخرى من الطعن في البالوعة لمحو كلّ أثر لذلك الشيء. لقد اختفى.

"كيف تشعرين الآن؟" سألت نفسي. أشعر بأنني أفضل حالاً.

شعرت بالقدرة والكفاءة وصفاء الذهن. سكبت المبيّض في الحوض وغسلت السكين وأعدته إلى الدرج. "أنتَ وأنا لدينا سرّ صغير الآن"، قلتُ للنصل الحادّ.

بابا توثوورت الميت

كان جاثماً في خزان الصرف الصحي يراقبُ هذا ووجدَ أنهّ أمر ممتع جداً. رأى فيها جانباً من ذاته، من رؤيته للأمور. شاهدَ أمّ الصبي تهرسُ قنفذاً، وتحوّل حيواناً مصاباً بالذعر إلى حساء مائي ملوث بالدم. أحبها كثيراً، تماماً مثل السيدة لارتون التي تدعس على فأر مسموم لقتله، تماماً مثل جون وأوليفر يطلقان النار على الغربان في المزبلة، تماماً مثل دبابير جين الغارقة في فخ المربى. يوم جيد آخر مثل بقية الأيام في الحرب البشرية ضد الآخرين..

لقد أحبّ عمليات الإعدام بالقدم والفم وقضاء تلك الأشهر في الانزلاق داخل وخارج الماشية المحترقة؛ لا شيء جديد على توثوورت، الشاهد المخضرم لبلادة الأبقار والإنفلونزا والطاعون البقري الرائع، تعفّنِ الجلد وجرب الأغنام، ودورات الحكاك والتهاب الضرع والجدري، لقد رأى الكائنات تموت بآلاف الطرق،

قطعة من المغزل،

{شظية إنتانية، غرزة منسيّة، موت الأشجار في التسعينيات}

{يتجشأ ريد بوب، أتوسل إليك لا توقع خارج الصندوق أو سأضطر إلى البدء من جديد}

{كلّ تلك الكتب حيث تختار النهاية بنفسك}

{صخر حاد}

{أحدهم قرع الجرس قبل نتيجة المسابقة، الإعدام ليس الحل، تحدث الإنجليزية أيها القذر}

{الأشباح العشرة ذاتها، تسممت ببطء بالطقسوس السام، إنه زواج مبني على الأكاذيب}

{سيارات أجرة أبي في خدمتك}

{لا أحد يشبه العاهرة القذرة مثل العارضات في سباق الدراجات النارية الصفراء}

{المياه الملوثة، برد قاتل في المرآب}

{ممتع جداً أن أراك حبيبي}

{جراءٌ من فصيلة روت وايلر، كلّ منها ب 50 بنساً أو شريط بسعر جنيهين إسترلينيين، نعم أنا أهدّدك يا بني}

كم يحبّ مشاهدة الحمل عندما يعلق في الولادة، عندما يتوقفُ عن

الدفعِ كلّ من الإنسانِ والنعجة والحمل، ويقهقه مع نكتة اللحم الرهيبة والروابط المطاطية بين الحياة والموت،

{كلّ الأشياء البرية تخاف من رائحة البشر}

{لا أحد يريد انتخابات فرعية، عاد إلى المنزل نتناً من كثرة الكدح، خطى غامضة}

{الله وحده يعلم بما يجري، سوناتا ضوء القمر وسيجار، أصيب جان كومب عندما كان طفلاً}

{المواعيد في عيادة جاب محجوزة بالكامل، عندما غفوت سَرقَ حذاءك}

{بالنسبة لوظائفنا، حارس مرمى أولاً ومحامي ثانياً}

{ضحكت حتى سالت دموعي، حساء الجزر والكزبرة الذي تصنعه كان نجم غداء الصوم الكبير}

{بعمق قدمٍ تحت عظام الحيوانات المتحللة، لم يعد أحد يقول هذه الكلمة اليوم يا أبي}

{دعه يعرف أن هناك خطراً، إذا كان بإمكانك إزالة الضماد ودعني ألقي نظرة خاطفة على الجزء الملتهب}

{تسعة أكواب من الجعة وثلاثة كؤوس صغيرة، رائحته تشبه رائحة سلة المهملات}

{اختنق من ثمار الزعرور، التقليم لا يرحم، تجاوز وقت نومه}

شهدَ بابا توثوورت الميت إعدام الرهبان على هذه الأرض، ورأى السحرة يغرقون، ورأى القتل الجماعي للحيوانات، ورأى الرجال يضربون بعضهم بلا معنى، ورأى الجثث التي تعرضت للإساءة والانتهاك، ورأى الناس يؤذون أقربَ الناس إليهم، ويضرّون أنفسهم، والمؤامرات والقلق أو الذعر والغضب، ويمكن قول الشيء نفسه عن الأرض. لقد رأى الأرض نفسها مقطعة، وطبقتها العليا منزوعة الأحشاء، وعاريةً ومنهوبة. رآها مقطعةً إلى قطع أصغر بواسطة الأسلاك والأسيجة والقانون. رآها مسمومةً بالمواد الكيميائية. رآها تصمدُ في وجهِ الموت الذي جلبه الجراحون والعابدون والمهاجمون. إنها تحافظ على وجودِ وحياةِ القرية دوماً لذا فهو يحبها. لن يبلي بلاءً حسناً في البرية.

بيت

سألتني إن كان بوسعي تقديم خدمةٍ لها. لو أمكنني أخذه بعد المدرسة من منزل صديقه ألفي في شالكبيت لين. كان روبرت مسافراً في رحلة عمل، يضاعفُ ثرواته الخفية ثلاث مرات أو مهما كان ما يفعله.

والدة ألفي، شارلوت، من الأشخاص المدمنين على العناية بالصحة

والسلامة وتعتبرني كريهَ الرائحة وخطيراً. لقد بحثت عني بالتأكيد في غوغل وتعرف أنني كنت مشهوراً ذات مرة إثر إقامةِ معرضٍ للقضبانِ الخشبية المطلية. ربما تكونَ بوليصة التأمين على الحياة الخاصة بها أكثر تكلفة بسبب القرب الخطير للإبداع من منزلها المنفصل الأنيق المزود بالتدفئة المركزية والجدران النظيفة.

"لا أقصد الإهانة يا بيتر"، قالت، ولم تدعني للدخول، "ولكن أعتقد أن عليّ أن أتحقق من والدة لاني".

قلت "إنها في اجتماع في لندن مع ناشرها". "تلقيت تعليمات لإطعام لاني وإعادته إلى المنزل في موعد النوم عندما يعود والده".

"أنا متأكدة من أن هذا صحيح، بيتر، ولكن دعنا نتحقق من ذلك، أهذا ممكن؟"

"نعم بالطبع"، قُلتُ.

لن أكذب، لقد حملت كرهاً قوياً لشارلوت في الوقت الذي استغرقته للذهاب والاتصال بوالدة لاني، ثم إحضار لاني إلى الباب مع معطف وحذاء وحقيبة ظهر وأراكَ لاحقاً ألفي/أراكَ لاحقاً لاني، ليس بسبب إجراءاتها الأمنية بل بسبب نسخة لوحة رينوار المؤطرة في الردهة.

أستطيع عادة إيجاد وسيلةٍ لفهم الأشياء الفظيعة؛ عبادة شيطانية، قهوة منزوعة الكافيين، جراحة تجميلية، لكن لوحة رينوار لمدام دي

بونييه؟ لا. هذا ما لا يمكن فهمه أو غفرانه. داخل إطار ذهبي وإنارة موجهة من الأعلى؟!!

ولكن، يا شارلوت، لا يوجد غرفة في لهيبِ جهنمَ حارة بما فيه الكفاية لامرأة من ذوقك.

لاحقاً، جلسنا نضيف قطع الجبن والفاصوليا إلى البطاطا المشوية، ونتحدث عن الأشجار. اتفقنا، أنا و (لاني)، على شجر الزان. إنه طوطم إنجليزي.

قال لاني: "لقد حصلت على كتابٍ عن الأشجار وبحثت عن خشب الزان النحاسي، فاغوس سيلفاتيكا، ويقال إنه يزرع على نطاق واسع".

"أعتقد أنني أعرف الكتاب الذي تتحدث عنه. إنه كتابٌ نشرته كولينز بعنوان "صندوق قفازات" ذو النبرة المتعجرفة. نعم، لديّ هذا الكتاب. تجاهله. شيطان لعين".

"شيطان لعين".

من الأفضل أن تحتفظ بهذا لنفسك، يا فتى".

"بيت؟"

"نعم سيدي".

"هل تؤمن بـوجود بابا توثوورت الميت؟"

"إيه؟"

"أتعتقد أنه حقيقي؟"

"حسناً. لا. وربما نعم بقدر ما هو حقيقي إذا كان الناس يؤمنون به. إذاً، نعم. تماماً مثلما أؤمن بوجود حوريات البحر أو جاك الواثب أو طفليّ وولبيت الأخضرين إذا تحدث الناس عنهم، ورووا القصص عنهم..

إنه جزء من هذه القرية. يتحدثون عنه منذ مئات السنين، سواء كان حقيقياً أم لا. يجب أن تسأل بيج العجوز، إنها الخبيرة"..

"نعم، لكن هوغو، شقيق آلف، يقول إنه رآه يتسلق سياج حديقتهم. وقال إنه رجل مصنوع بالكامل من اللبلاب".

"سأحاول تصديق ذلك، لاني".

راح يؤرجح ساقيه ويغني:

"عليك أن تتلو صلواتك وأن تكون ولداً طيباً أيضاً، وإلا جاء بابا توثوورت الميت ليقبض عليك حياً. إنه يعيش في الغابة. أنا أؤمن بوجوده. أنا رأيته".

حاولث تغيير الموضوع.

"سأخبرك عن شيء مثيرٍ للاهتمام ربما سمعت عنه بالفعل من قراءاتك. الجزء من الشجرة الذي يسحب العناصر الغذائية، الجزء الأكثر حيوية من الشجرة، يقع في الواقع تحت السطح مباشرة. لذا فإن جرح السطح، أو ضربةٌ بسيطة بفأس أو سهم أو منشار، يمكن أن يسبب الكثير من الضرر للشجرة، ولعملياتها الحيوية. وتتابع نموها بحسب هذا الضرر".

"أعرف ما ستقوله"، أجاب لاني.

"هل تعرف حقاً؟"

يقف ويمدّ يده إلى السقف ممدداً أضلاعه وبطنه ليصل إلى مثل عريشة البازلاء المتسلقة إلى الشمس.

"نجد الشيء نفسه لدى البشر".

والدة لاني

استيقظت على صوت بكاءٍ خارج غرفة النوم. روبرت غارق في السرير مثل لاعب تنس ميت، ولعابه يسيل. خرجت لأجدَ لاني متربعاً أعلى الدرج بالكاد يستطيع التقاط أنفاسه ويبدو مستاءً للغاية.

عانقته وحاولت أن أهدئ من روعه وجسمه كله تقرحات ساخنة. تقرّح ساخن عند مرفقه وآخر عند الركبة، وكعبه الصغير الساخن مثل الحصى الدافئة التي تستمد حرارتها من الشمس التي في داخله.

أخبرني في النهاية بكلماتٍ لاهثة أقرب إلى الهمس أنّ الصبي الصغير في صحيفة المياه الخيرية ربما يموت من العطش الآن.

"لقد أهدرت الكثير من الماء أثناء استحمامي وعندما أدعها تبرد كي أشرب وعندما أسقي الحديقة".

"لكن، عزيزي، تحدثنا عن هذا كثيراً من قبل، لا يمكنك إصلاح الكون بمفردك. لا يمكنك إيصال الماء من صنبورنا إلى ذلك الصبي الصغير في أفريقيا".

نظر إلي كما لو أنني نطقت بأكثر الأفكار بشاعة التي قيلت يوماً. غادر حضني. وغلبت على وجهه ملامح الازدراء.

"طابت ليلتك أمي".

في الصباح، لم يكن في سريره، ولا يوجد ما يشير إلى أنه تناول وجبة إفطار مبكرة ومن ثم توجه إلى الغابة.

"لاني؟"

"لاني؟"

سمعت صوت خطوات مستعجلة في مكتبي. وجدته يحاول على عجل إغلاق جهازي الكمبيوتر. لم يسبق لأي طفل أن بدا أكثر تحولاً منه في تاريخ العالم.

التفت إلي وأخذ نفساً عميقاً. أعتقد أن هذا سيكون مثيراً للاهتمام لأن لاني ليس خبيثاً.

"كنت أقرأ كتابك".

"يا حبيبي هذا غير لائقٍ على الإطلاق. لا يجوز أن تفعل ذلك. أنت أصغر من أن تقرأ هذا. إنه كتاب جريمة للبالغين".

"أعلم. تخطيت الجزء الأول ثم تخطيت.....ممم... عنيف. إنه مليء بالعنف.

أعتقد أنني أصغر من أن أفهم ما كُتب".

"أعتقد هذا".

"هل أقرأه عندما أصبح مراهقاً؟"

"عندما تبلغ الثامنة عشر".

"آسف يا أمي".

"لا بأس. أنا آسفة بشأن ما قلته أمس حول الصبي في صحيفة المياه".

"لا بأس. أعرف قصدكِ".

اتجهت نحوه، ركعت وعانقته، ومن فوق كتفه قرأت الفقرات الفظيعة من روايتي الآثمة. شعرت بالسوء لأنه وجدها. إنها لا تناسبه.

"أمي؟"

"نعم، حبيبي؟"

"بما أنّ والدي أبي قد ماتا هل تعتقدين أنه يحبنا أكثر؟ هل تعتقدين أنه يعطينا الحب الفائض الذي كان يعطيه عادة لأمه وأبيه؟ هل هناك حبّ فائض لنا؟"

قلت لنفسي "لا".

وأجبت "نعم". "هذا صحيح تماماً".

والد لاني

اتفقنا على الخطة. سيصطحب بيت لاني إلى لندن لمشاهدة معرضه الذي يقام في شارع كورك، ويتناولان الغداء معاً ثم يتجهان إلى المعرض الوطني، ويعودان في الوقت المناسب لتناول الشاي.

أنا موافق بالطبع على ذلك، وما زلت أتلقى توبيخاً من قبلها للتحدث بشكلٍ مصطنع عن مدى موافقتي على الخطة. وأنا موافق بالفعل. لا بأس. أثق في بيت وأعرف أن لاني سيستمتع ويتصرف بأدب، وقد أشاد معلمه في المدرسة بالفعل على التحسن الجذري في عمله، والتحول في

الطريقة التي يعبر بها عن نفسه. إذاً، كلّ شيء على ما يرام..

طلب مني أن أقلهما إلى المحطة لكن التوقيت لم يكن ملائماً. لا بأس أيضاً. إذ إن فكرة وجود بيت في سيارتي تحرجني بعض الشيء. مقاعد سيارتي جلدية.

لا أعرف من الذي عليّ إرضاءه. لا بدّ لي من إرضاء القرية ولكن لا أستطيع لأن القرية في نظري مجرد مكان قريب من لندن، وبالتالي فأنا جزء من المشكلة والسبب والنتيجة، وحقي الوحيد في أن أكون هنا هو الحقّ الذي منحني إياه مقرض الرهن العقاري في كناري وارف، لذلك أنا أتشبث بالانتصارات الصغيرة والجذور الصغيرة وبراعم الانتماء،

وأؤمن بأن حقي في أن أكون هنا سببه لاني، غريب الأطوار المحبوب، وحقي في أن أكون هنا سببه عرضي للسيدة لارتون بأن أقطع شجرة الوستارية، وأن يقدم لي بيت زجاجة الجعة، وأن يناديني عامل البناء قائلاً "بصحتك يا زميل" عندما أفتح باب الحانة. أدردش مع بيجي على الأقل مرتين في الأسبوع ويبدو أن بيجي تحبني، أليس هذا قبولاً رسمياً؟

بيت

رافقتهُ إلى منزلي، وهذا غير معتاد لأنه يأتي متى يشاء، يدخل ويخرج براحته. أرسلتهُ إلى الحديقة وجلسَت أمامي. بدت حازمة. سألت

إن كان بإمكاني التوقف عن إخبار لاني أشياء مخيفة وقصص الأشباح وما إلى ذلك. قالت: "يطلبُ منك روبرت، حسناً، كلانا نطلب منك، حسناً، روبرت يطلب. كما تعلم، إنه مجرد طفل".

قلت: "أكرهُ أن أقول هذا، لكن لاني هو من يخبرني أشياء مخيفة".

قالت: "أعرف. لكن أخبرونا في المدرسة أنه يكتب أغرب القصص، وأشياء سوداوية، ويتصرف بغرابة بعض الشيء، وشكت فتاة في الصف الخامس من أنه وضع تعويذة عليها".

"ها!"

"الأمر ليس مضحكاً، بيت".

"أعرف، أنا آسف. ولكن بالله عليكِ، لاني بأفضل حال. إنه مختلف ورائع للغاية. إذا اعتقدت بقرة صغيرة مغرورة أنه ساحر، فليكن. يمكنها أن تكتب عنه مراجعة سيئة على موقع زميل الدراسة دوت كوم. على الرغم من أنّ المصاعب ستواجه لاني في كلّ اختبار ومقياس ومعيار من معايير الحياة الطبيعية على امتداد حياته الطويلة المجيدة. أليس كذلك؟"

ضحكت ووضعت وجهها الجميل بين يديها.

"حسناً، شكراً جزيلاً على مساعدتك، بيت المجنون، يسرني أننا أجرينا

هذا الحوار".

نهضت، ربتت على كتفي وخرجت.

وهكذا بعد ظهر ذلك اليوم تجنبت بشدة قصص الأشباح وركزت على التدريس.

استغرقَ باستمتاع شديد بالرسم بالألوان المائية. باستمتاع شديد بالفعل. لا أرتاح عادة للرسم بالألوان المائية، لكن لاني راوده شعورٌ جميل حيالها..

استطاع أن يخمن بثقة القدرة على الامتصاص ودرجة اللون بطرق أثارت إعجابي، وعرف دون توجيهات مني كيفية استخدام الفرشاة لسحب اللون أو تركيزه. قلت: "يمكنك أن تلعق اللون، إن كنت في عجلة من أمرك، نظفه بلسانك إن كنتَ بحاجةٍ إلى التراجع بسرعة، طعمه مقبول، ولكن لا تلعق أبيض الرصاص، ذلك السم الأبيض".

نظر إلى الأنبوب الصغير.

"ما كمية اللون الأبيض التي يجب أن تأكلها كي تموت؟"

"هذا ليس سؤالاً يمكنني الإجابة عليه يا لاني. ربما تحتاج الكثير. ولكن توجد طرق أسرع لقتل أي شخص. فقط لا تلعق الفرشاة عندما يكون عليها اللون الأبيض حتى نتجنب جميعاً السجن. أيها الفتى

الطيب".

تجولنا في الخارج لرسم شجرة البرق على الجانب الآخر من دوغروس كومون. تهادى يمشي أمامي وحقيبة ظهره تتأرجح مع زجاجة الماء والمناظير ووجبة خفيفة وكرتون من عصير ريبينا. تحدثنا عن بطاقات كرة القدم والجنود البلاستيكيين الصغار الذين تبادلهم مع زميله وتيار حديث لاني الخاص المتدفق،

امتزجت كلّ التمتمات الفلسفية وأجزاء من اللحن مع الثرثرة المعتادة للطفل وفجأة شممت رائحة رائعة وغنية وخضراء مع أمواج الأثير.

رائحة جميلة. في موقف الحافلات الذي مررنا به، كان هناك ابن عائلة هندرسون مع أوسكار الذي نسيت اسم عائلته وكانا يتبادلان فيما بينهما سيجارة ماريجوانا ضخمة بحجم شمعة الكنيسة، عريضة ومضغوطة وشكلها بشع ولكن أقسم أنّ رائحتها كانت لطيفة. أومأنا برأسينا عندما مررنا بهما ورفعتُ يدي للتحية.

سعلَ أحدهما وقال "غريبُ الأطوار"، وانفجرا ضاحكين.

تابعنا السير.

لم أجد ما أقوله، لكن لاني سألني" "هل تعتقد أنهما يتحدثان عني أم عنك؟"

ضحكت بصوت عالٍ لأنني لسبب ما وجدت ذلك مضحكاً بشكل مذهل وكان لاني يقول، "ماذا؟ ما المضحك في الأمر؟"

سرنا على طريق ممشى الكلاب نحو غابة هاتشيت وكان الطريق جميلاً جداً. ثمّة جدار سميك من العشب الأخضر بين الأرض المشاع والغابة التي تتفجر بالحياة، والياسمين يتسلق من خلاله وفوقه، مشهدٌ يستحق الرسم بجدارة، وأزهار القيصوم تتوهج قليلاً، والخوخ الشوكي والقيقب تتعانق جميعها معاً، وأزهار قفاز الثعلب التي تميل إلى الخارج مثل ذراعين رقيقين. كنت لا أزال أمسح دموع الضحك من عيني وأقول لنفسي كم هذا غريب! أنا، الرجل العجوز، في نهاية مسيرة مهنية جيدة وحياة وحيدة تماماً، أجد فجأة الصديق الطيب في هذا الطفل الصغير.

والدة لاني

ذهبنا إلى المتاهة في كارلتون هول للتنزه والاستفادة من بطاقة العضوية باهظة الثمن.

كان روبرت يبالغ في الحديث عن لقائه لاني وبيت لتناول طعام الغداء في لندن، وحول جمال مظهر بيت في البدلة.

"بدا أنيقاً مثل رجل عجوز عصري".

"عزيزي، إنه بالفعل رجل عجوز عصري".

"نعم لكنه يلبس مثل الفزاعة معظم الوقت. أنا جادّ، بدا وكأنه مدير وكالة إعلانات بحذائه من جلد الغزال البني، وبدلته الكتانية الجميلة، ولحيته المشذبة، ونظاراته ذات الإطار المصنوع من درع السلحفاة".

"يا إلهي، روبرت، هل أنت معجب بـ بيت أم ماذا؟"

"أنا فقط أقول إننا ننسى أحياناً أن بيت ذو شأن كبير. يوجد كتبٌ عنه. وأعتقد أنه غني على الأرجح."

"أنت سخيفٌ روبرت لويد".

حدقنا في اللافتة التي تحذر من صعوبة المتاهة وتشير إلى أنّ الوصول إلى المركز يستغرق أربعين دقيقة، حيث يوجد ممرٌ وتمثالُ عملاق كارلتون الأخضر.

"أين لاني؟"

"كان هنا للتو".

"لاني؟"

سمعنا صوت تصفير بعيد من داخل المتاهة. عدنا إلى خارج السياج الأول ووجدنا لاني هناك على المنصة المرتفعة في المنتصف يُلوّح بجانب التمثال.

"ماذا تفعل؟" صاح روبرت. نظرنا إلى بعضنا.

"لاني. ارجع. تعال و الحق بنا. نحن ننتظر". حدّق روبرت في مدخل المتاهة مبهوراً.

"هل لجأ إلى الغش؟ هل وجد خريطة؟ أم أنه تبع شخصاً ما؟ لقد كنا هنا في الربيع الماضي. لا يعقل أنه لا يزال يتذكر. لا يمكن لأيّ منا أن يتذكر".

"لا أستوعب هذا".

بعد بضع دقائق خرج لاني من المتاهة وردي الخدين مبتسماً.

"عزيزي، كيف وصلت إلى هناك بهذه السرعة؟"

"ما قصدك؟"

"إلى وسط المتاهة. الوصول إلى هناك يستغرق أربعين دقيقة. كيف وصلت إلى هناك بهذه السرعة؟"

"لقد ركضت".

ركع روبرت.

"لاني، كيف عرفت الطريق الذي تسلكه؟ أعني، هل يوجد طريق محدّد على الأرض؟ كيف وصلت الى المركز؟"

"لقد ركضت وحسب".

"لاني". أمسك روبرت بكتفيه.

"اهدأ روبرت، اهدأ. لاني؟ أخبرنا الحقيقة. لأن الأمر مدهش حقاً وغريبٌ بعض الشيء. كيف عرفت أيّ طريقٍ تسلك؟"

بدا لاني في حيرةٍ من أمره تماماً، وصادقاً وواضحاً كعادته دائماً.

"لقد هرولت إلى هناك وحسب. وصلتُ إلى أكثر من منعطفٍ وفي كلّ مرة بدا الاتجاه واضحاً. يسار. يمين. تمكنت من الإحساس بالاتجاه الذي علي أن أسلكه. وعرفته بكل بساطة. واحزروا ماذا وجدت؟ هذا التمثال في المنتصف هو تمثال بابا توتوورت الميت".

غادرنا المتاهة وجلسنا نأكل على التل، لاني يثرثر وأنا وروبرت بالكاد نطقنا حرفاً.

في السرير في تلك الليلة التفت روبرت نحوي وسألني عما إذا كنت لا أزال أفكر في الأمر.

"بالطبع أفكر فيه. لا أعرف ماذا أقول".

"حبيبتي، إنّه أمرٌ غريبٌ فعلاً. حادثة غريبة. أو أنّ لديه ما يشبه العبقرية العددية التي تُمكنّه من رؤية الأشياء التي لا يمكننا رؤيتها. شيء غريب من هذا القبيل، أنا فقط أتساءل عما إذا كان ينبغي علينا....

هل تذكرين تلك الحادثة في منزل والدي؟"

"من فضلك لا، لا يمكنني تذكر أيّ شيء".

"أعني تلك الحادثة عندما كان لاني طفلاً صغيراً. تمكّن من الزحف لكنه لم يتمكن من المشي. كنا في حديقة والدي وفجأة اختفى. بحثنا وصرخنا وانتابنا الذعر ثم سمعناه يغرغر ويضحك في بيت الشجرة القديم أسفل حديقتهما. على ارتفاع تسعة أقدام أعلى السّلم. أصرّ كلّ واحد منا على أنه لم يضعه هناك، وعرفنا أننا لم نفعل ذلك لأننا جميعاً كنا نجلس عند الطاولة نشرب ونأكل. لكننا اتفقنا في صميمنا على أنّ والدي هو من فعل ذلك، إنه يحبّ المزاح، لا بدّ أنه تسلل ورفع لاني إلى هناك. كان من الأسهل قبول افتراض أنّ أبي يكذب في غياب أيّ تفسير منطقي.

استلقينا في السرير في صمتٍ.

أفكر في طفلي النائم في الغرفة المجاورة. أو ربما ليس نائماً. ربما يرقص في الحديقة مع الجان أو العفاريت. نحن نفترض أنه نائم كطفل عادي، لكنه ليس طفلاً عادياً، إنه لاني جرينتري، لغزنا الصغير.

بيت

اتجهت أنا ولاني إلى منزله بعد أن سمحتُ له بقصّ قطعة من اللينو وعرضت عليه لوحة بيليني (دوج) التي أثارت إعجابه للغاية. قلت إنني

سأرافقه إلى المنزل لأنني لم أخرج منذ مدة، وأعتقد أنني قد أتوقف في الحانة لتناول كأس جعة وبعض المكسرات.

لم نر بعضنا كثيراً مؤخراً إذ كنت منشغلاً بعملٍ جديد. أو لعله لا يريد التسكع مع رجل عجوز طوال الوقت. لم أتوقع زيارته لي هذا المساء.

"لوحة الدوج لـ بيليني أم لوحة رثاء المسيح لـ مانتينا؟"

"الدوج".

"لوحة الدوج لـ بيليني أم لوحة المرحاض المقلوب؟"

"دوج دوج دوج. إنها أكثر شيء مثير رأيته في حياتي".

"حسناً، يسرني هذا. أوافقك بأنها مميزة قليلاً. لدي بطاقة بريدية منه في مكان ما، سأعثر عليها. مهلاً، إنها المغناطيس المتقاعد باتجاه الساعة الثانية عشر، إنها بيجي، أمامنا مباشرة، لا يمكن لأحد أن يتجنبها، يا إلهي لقد انتهينا، لقد رأتنا وانتهى الأمر، لا أحد يستطيع تجاوز حاجزها القوي، سيتعين علينا التوقف والحديث معها".

"لا مشكلة"، قال الوغد الصغير الاجتماعي.

وجدنا بيجي حزينة كما هو حالها في الآونة الأخيرة. غادرتها عادةُ القيل والقال والنميمة عن أهل القرية مع التحديثات الشاملة عن حالة كلّ زواج. بيجي حزينة هذه الأيام. إنها واهنة وعظامها تؤلمها. إنها

مقتنعة بوجود شرّ كبير لا يمكن إيقافه يجتاح العالم. إنها على حقّ.

"ما سأقوله"، قالت وهي تحضن يدي لاني بكفها المجعد، "ما سأقوله إنه يسعدني كثيراً أن أراك أيها الفتى. الجميع يسيرون بسرعة وعيونهم معلقة بهواتفهم، ينطلقون في هذه السيارات البراقة الضخمة، في حين تبدو لي طفلاً من الزمن القديم، طفلاً بشرياً سليماً".

"أوه لا تنخدعي، بيجي، هذا الصغير يعرف طريقه إلى الكمبيوتر، وسوف يدير العرض في قادمِ الأيام".

ابتسم لاني، وهرب من قبضة بيجي المجعدة، وتملّص من انتقادي.

"ما أقوله إنني سأموت في القريب العاجل أيها الرجل الصغير. أنا آخر أفراد عائلتي. ودّعت إخوتي عندما خرجوا إلى الحرب من هذه البوابة. لم يعودوا، لكن القرية امتلأت مراراً وتكراراً مثل بركة الصخور من كلّ أنواع البشر. إنّ السيدة لارتون تحبّ أن تتظاهر بأنها تعيش هنا منذ الأزل ولكن يبدو لي أنها وصلت هنا بالأمس مع زوجها صاحب الأزرار النحاسية والخدود الوردية الموصول بزجاجة خمر كلاريت طوال اليوم وكلّ يوم، وسرعان ما بدأت بفرض سيطرتها على كلّ شيء هنا. إنهم يأتون ويرحلون. لقد شهدت كلّ هذا. لكنكَ مصدر سرور أيها الرجل الصغير ولك تأثير جميل على المكان".

"هل تعرف"، تابعت تقول، "سأموت وهذا الكوخ الفيكتوري سيهدم،

وعلى هذا الموقع سيبنون ثلاثة أكواخ فيكتورية مزيفة.. ويستبدلون هذه البوابة ببوابة جديدة، مزيفة أيضاً على أمل استنساخِ سحرِ هذه البوابة".

"ما أدراكِ؟" سأل لاني.

"أنا أعرف وحسب".

"لن أسمح لهم".

"هل تعلم ما ورد في كتاب "يوم الحساب" عن هذا المكان؟"

"لا"، أجبنا كلانا بصوتٍ واحد.

"يقول أن الأسقف سيشغل هذا المكان. ويقول إنها تعادل ألف فدان وأرضاً لستة عشر محراثاً وتسعة وعشرين قروياً وخمسة عبيد".

"عبيد؟" سألتها، لأن هذا لا يبدو صائباً.

أجابت بيجي: "العبيد هم الأشخاص الذين لا يملكون أرضاً يا بيتر".

"آه، حسناً".

"خمسة عبيد، ومروجٌ لستة عشر محراثاً، ومئتا خنزير، وقيمة الأرض أحد عشر جنيهاً".

"أحد عشر جنيهاً"، قال لاني وهو يقفز، "أملك تسعة وعشرين جنيهاً

من مدخراتي. يمكنني شراؤها".

"عليك بشرائها يا فتى"، قلت.

"اشترها واحفظها برعايتك جيداً، أيها الشاب"، قالت بيجي. "هل تعرف ماذا يقول الكتاب أيضاً؟"

اتكأت بيجي على البوابة بمرفقيها وأمسكت يدي لاني بيديها مجدداً وحدقت في عينيه.

"كتب فيه بأحرف صغيرة في نهاية المقدمة، بخطٍ مقروء بالكاد لكنني رأيت نسخة مصورة منه: بوير توثوورت".

صحت باستنكار: "أوه بيجي، أيتها المحتالة. هذا قدرٌ كبير من الهراء".

"هذا ما جاء في الكتاب يا بيتر. إنه مكتوب.. إنه موجود هنا منذ البداية. لقد كان شاباً فيما مضى في الوقت الذي تشكلت فيه هذه الجزيرة. لم يولد أحد هنا باستثنائه".

"إذاً هو أكبر منك سناً؟"

"بالتأكيد لا".

"على كلّ حال، يجب أن أسلم هذا الفنان الصغير إلى والديه".

"عمتِ مساءً بيجي، أحلاماً سعيدة"، قال لاني.

"نوماً هانئاً يا صغيري. نوماً هانئاً يا بيت المجنون" وغمزت بعينها.

والدة لاني

كان بعيداً جداً. أو ربما كنت مشتتة الذهن جداً. يأتي ويذهب ويبدو قلقاً. أعجز عن لقائه. وهذه الليلة بحثت عنه في كلّ مكان ووجدته أخيراً يطفو في مغطس عميق لا يظهر منه سوى وجهه المثالي من بين الفقاعات.

شعره نظيفٌ تماماً.

"أنت ولدٌ لذيذ. أودّ التهامك".

"هذا "لن يكون مناسباً"، أمي".

"الأمهات لديهن تصريح خاص لأكل أبنائهن، إنها قاعدةٌ قديمة قدمَ الزمن".

"أمي؟" ينهض من الحوض وجسده يقطر ماءً..

"نعم، حبيبي؟"

"حلمت الليلة الماضية بأنني خرجتُ للجري مع الغزلان مرة أخرى".

"أوه جميل، إنه حلمك المفضل".

"ولكن هذه المرة لم أكن صبياً يركض مع الغزلان. كنت غزالاً داخل

غزالٍ ينظر إلي، ويتساءل إن كنت حيواناً. بدت عظامي أقصر طولاً وأقوى وأكثر مرونة. كانت عيناي مثل عيني الغزال، لكني رأيت نفسي داخل الغزال وقلت "فتى بشري!" كنت متحمساً وقلقاً جداً في الوقت نفسه. حصل انفجار وثمة من سحبني إلى الوراء، فعلقت في أسلاكٍ شائكة أو أسنان معدنية أو شيء من هذا القبيل، وتمزقت ساقي وظهرت العظام من خلال الجلد. كانت الغزلان تراقبني ولم تستطع مساعدتي لأنها غزلان، وكنت أحتضر، فشعرت بالهلع لأنها تعثّرت بي. عرفت أنها تعثرت بي وأظهرت لي بأعينها أنها فعلت ذلك لأنني إنسان، ولأنها لم تتمكن من استيعاب فكرة إنسانٍ يركض مثل الغزال، لم يكن ذلك ممكناً. لقد خرقت القواعد. استمر الأمر زمناً طويلاً. كنت بحاجة إلى المستشفيات والأدوية والكلمات ولم يكن لديها أيّ من هذا، فاستلقيت هناك وانتظرت. انتظرت وانتظرت والغزلان تراقبني".

"اللعنة. لاني، عزيزي. يا له من كابوس فظيع".

"لم يكن فظيعاً. بل حزيناً وحسب. شعرت بالحزن الشديد. ماذا يحدث عندما نموت؟"

"لماذا؟"

"إنني أتساءل فحسب".

"حسناً، أعتقد أن أجسادنا تتعفن وتصعد أرواحنا إلى الجنة. إن كنا

صالحين".

"هل تؤمنين بوجود الجنة؟"

"نعم، نوعاً ما. نعم".

"أنا أتفق مع بيت".

"حقاً؟ ماذا يحدث بحسب رأي بيت؟"

"يعتقد أن أرواحنا تنفصل وتتجول قليلاً وترى الأشياء بشكل صحيح. ويظن أننا نرى لأول مرة كيف تعمل الأشياء حقاً، ومدى قربنا من النباتات، وكيف يترابط كلّ شيء، وندرك الحقيقة أخيراً، ولكن لمدة ثانية واحدة فقط. نرى الأشكال والأنماط وهي جميلة بشكل لا يصدق مثل أفضل عمل فني على الإطلاق بكل ما فيها من رياضيات وعلوم وموسيقى ومشاعر، وكلّ شيء. ثم نذوب ونصبح أثيراً".

"هذا لطيف جداً. يسرني أن يكون هذا ما ينتظرني".

"أنا أيضاً".

"أحبكَ لاني".

"أعرف أنك تحبينني".

بابا توثوورت الميت

{يجلس متخماً على سلّمه المفضل، وتبدو على وجهه ملامح القلق}

{مزاجُه عكرٌ وصعبٌ مثل قاتلٍ في إجازة قصيرة}

{شربوا مانع التجمد لسبب غير مفهوم، حذرناهم علاقةٌ بطيئة لطيفة وكسلٌ في السرير}

{لونه أخضر كأنه ميتٌ منذ ثلاثة أيام}

{ما سيقتل ساندي كليفردون كسلٌ من الطراز القديم}

{احتمالات قصيرة إلى حدّ ما، أحرق حياً، نوايا شريرة، أخشاب متعفنة}

{كسر في الفك وكدمات طفيفة}

يعرفُ بابا توثوورت الميت نفسه جيداً، شعرَ برغبةٍ شديدةٍ وقد حان الوقت الآن.

{السلجم ذو البذور الزيتية الصفراء المشرقة، نصطاد الطيور الصغيرة وإلا كبرت الطيور الصغيرة، لذلك سنصطاد الطيور الصغيرة بالقوس، ولا مجال للتنفس}

{التزجيج، عادات المدينة تموت تدريجياً، حفلة قذرة، نفايات الحديقة}

{فلة صغيرة مضحكة ولكن هل من المدهش أن تضرب وتهرب سلة كاملة من عصافير أي الحناء الميتة}

يزحفُ نحو الأحياء، يتسلقُ التلّ تحتَ سبرينغ لين ويغطش حتى يتمكّن من الصعود مباشرةً تحتَ شارع القرية، ويطفو على بطنه تحتها ويرشف ماء الحمامات والقذارة، وكتل الدهون والحصى، ذلك المتلصّص الشّرير اليقظ،

{ينتقل تمرين رنين الجرس إلى الساعة 5.30 مساءً، لا شيء مهم}

{لا شيء مهم يا زميل، الهراء المعتاد، محبوساً خارج حياته نفسها}

{الرعب الليلي مرة أخرى أيها الحمل الوديع، رائحة فم كريهة}

{يا إلهي، لا أستطيع منع نفسي من البكاء أحياناً}

{طلبنا منها أن تتوخى الحذر، كارثة حدودية، دواسة رطبة، أعمال عدوانية عشوائية، توقعات مدمرة، يوم سيء هذا كلّ شيء، مزراب، فقط الهواء في الأنابيب}

{حرمها من تعويض العجز، مسار الغرير، الفزع، جربّ نازف}

حتى أعلى الأحواض، ورؤوس الدشّ وأوعية المرحاض، سمح لنفسه ببعض التطفل، واختلاس النظر، وبعض النكهات،

{اللفت والملفوف المتعفن، شعر بالذعر حقاً في طريقه إلى المنزل سيراً على الأقدام}

{دم الثعلب، لن يدخن القذارة الخضراء فقط}

{بدا أنه هازل يتقلص، عظام بشرية في الجدار، إنه وثني}

{هذه أرضنا، لم يكن لديه بخاخ لعلاج لدغ الحشرات}

يصبح الأمر على هذا النحو كلّ مئة عامٍ أو نحو ذلك، لا يستطيع المقاومة، يشعر باقترابه، وأنّ عليه أن يتصرف،

{سلسلة القطر المناسبة، خنافس}

{الموت تنقر على العارضة}

{سلوك مشبوه، ابتسامة مجاملة}

{أهملها فغضبت}

{شيء غير صحيح، حلقة مفرغة من الظلم، لا يفعل شيئاً}

بين الحين والآخر يفعل هذا، يتخيّل عرضاً، ويتدخّل، ويغيّر طبيعة المكان،

{كومةٌ من أكواب الجاز القديمة محلية الصنع، ثلاثة أطباق ونبيذ منزلي}

{أجرؤ على أن أقترح عليه الحصول على وظيفة مجدية وإخلاء مقعد البار}

{الخرافات موجودة لسبب ما، أحرقها، شيء ما، سنبدأ بمزمور 37}

{أثمن حيازة، أمة من النفوس الفاسدة}

{تبكي في موقف الحافلات}

{شلل النوم، عشرة منا في كورسا ستيفيز}

لا يستطيع المقاومة ولم يستطع أبداً، لا يستطيع أن يقاوم ولا ينبغي أن يقاوم أبداً،

يجب أن نقول المحافظة على البيئة ونؤجل القلق بشأن الشعار إلى وقتٍ آخر،

{ليلة هانئة يا حبي، الأوقات المظلمة، زجاجات الكولا والصحون الطائرة}

{الخوف من حياتي، مصافحة لزجة، تمزق أربطة}

{يبقى الأولاد أولاداً، مسدودة بشَعر قديم، يجب على الإنجليزي أن يكون صياداً وإلا جعلوه طريدةً}

{الحيوانات الأليفة الخائفة، وجه مثل كيس من مفرزات فتحة الشرج

الذائبة، مهووس ملحد مدمن على القلق عار عليهم جميعاً}

{الأطفال لديهم أفكار مريضة، حقير نذل، الناس غريبة اتفقنا}

{كان لدي أغرب شعور بأن ثمة من يراقبني}

إنّه ينوي على أمرٍ ما.

والد لاني

استيقظت وقبضتي مشدودةٌ وأزيزٌ في أذني، متأكدٌ من وجود شخصٍ ما في الطابق السفلي. ثمّة شخص في المنزل. اعتدت على حدوث هذا كثيراً، لكنني بتّ أكثر اعتياداً على أصوات القرية الآن. أعرفُ قنفذاً يشقّ طريقه على طول الحدود المزروعة، أعرف خطوات ساعي البريد المبكرة على الحصى. وأعرف الطنين الغريب لآلة تجفيف السيدة لارتون في وقت متأخر من الليل. هذا الصوتُ مختلفٌ.

ثمّة جسمٌ بشريّ يتحرك. يوجد شخصٌ ما في منزلي.

سأتجنب إيقاظ زوجتي..

أخرج مضرب الكريكيت من خزانة الملابس وأصوات قرقعة عظام قدمي الصغيرة مسموعة وأنا أخرج من غرفة النوم.

أسمع نبضات قلبي عالية في أذني بينما أتسلل عبر الممر وأتوقف قليلاً

مصغياً في أعلى الدرج. لا شيء سوى صوت ضرباتٍ قوية.

هبطتُ بحذرٍ شديد أسفل الدرج. لا شيء هنا. الكلماتُ التي في عقلي أستمدها من نصّ صاحبِ منزلٍ مذعور، "هيا، أيها اللعين القذر، ربما لا أمتلك قوة دفاع حقيقية، فتظنُّ أنني لست شجاعاً، أنا لا أقاتل، ولم أقاتل يوماً، أنا أعمل في إدارة الأصول وأقاتل فقط بطرق خفية على مايكروسوفت أوت لوك، وأشعر بالرّعب".

لا أحد في المطبخ لكنني شعرت بالذعر لمجرد وجودي هناك، تخيلت أنّ شخصاً يراقبني، بل الكثير منهم، صفوفٌ من الرجال ذوي الوجوه الخشنة المشوهة بالأسلاك الشائكة والحمض. مزارعون نهاراً وقتلة ليلاً، يختبئون وراء النافذة ويراقبون مطاردة أحدهم لي عبر أرجاء هذا البيت. يا إلهي، إن هذا الشعور يخيفني ويذلني، لذلك أبدأ في التبختر قليلاً، والتظاهر بـ "مجرد النظر" في حال وجود من يراقبني. يا للسخافة، أن تشعر بالقلق حيال ما يعتقده الناس حتى وأنت تشك بأن هناك دخيلاً في بيتك!

لا أحد في الممر، لا أحد في الصالة، لا فأس بين لوحي كتفي، لا بندقية تصوّب إلى الجزء الخلفي من رأسي، خلفي أركان بيتي، وأمامي صالة داخلية عاتمة صممتها زوجتي الأنيقة، وانعكاس ظلّي، وأنا أهرع لفتح خزانة تحت الدرج وأشعر بألمٍ طاعنٍ في صدري يشبه تشنج الذبحة الصدرية من شدة الفزع ومن ثم أسمع هناك صرخة مقتضبة من

الطابق العلوي –

روبرت!

ركضت، أصعد ثلاث درجاتٍ في كلّ خطوة، أتخيل – باقتناع ووضوح مطلقين – أن هناك رجلاً ضخماً يرتدي عباءةً سوداء في غرفة نومي يضع سكيناً على حلق زوجتي، خطوت داخل الغرفة ورفعت المضرب لأجدها جالسة على السرير.

"سمعتُ صوتاً".

"أنا أيضاً. ولم أجد شيئاً".

زوجتي الشجاعة، كانت تبدو مذعورة. همست.

"هنا. يوجد شخصاً ما هنا. ثمّة شيء ما في الغرفة".

ركضتُ، والمضرب في يدي، قفزتُ إلى السرير بجانبها، فجأة أصبحتُ كالأطفال وفقدت شجاعتي كلياً. تخيلت الصحف تنشر صوراً للجدران الملطخة بالدماء.

انتفض قلبي بعنفٍ في صدري. هل اختبأ في خزانة الملابس، هل هو مصنوع من الشراشف، هل علقَ في السقف، هل تسلل تحت جلدِ زوجتي، هل تخفيه، هل يمكنني قتل شخص، هل سيتألم، هل سيعذبنا -

أنا خائف، أنا خا -

صوت حفيف وحركة، هنا بالضبط، بجوارنا، تحت السرير. يوجد شخص تحت سريرنا، في غرفة نومنا. سنلقى مصرعنا فوق سريرنا.

أمسكت يدي بقوة كما أمسكتها عندما وُلدَ ابننا وشقّ طريقه إلى هذا العالم.

لا بدّ لي من فعل شيء.. ربما تكون قطة ضائعة أو لاجئة خائفة أو ثعلب يحتضر أو روح شريرة ترتدي ثياباً. عليّ القيام بذلك بسرعة ومفاجأة نفسي بشجاعتي. لذلك ودون تردد، وقد انتابني شعور غريب بالسكينة عندما أدركت أنها محتاجة لي، وأنني أمامُها، قفزت من السرير، وقفت على الأرض بثباتٍ قوي ورفعت ذراعي استعداداً لتوجيه ضربة بالمضرب على السجادة، وتحطيم المضرب على وجه ذلك الرجل.

تحت السرير، وبعيون مفتوحة على مصراعيها، وما بين النائم واليقظ، كان لاني يقبع هناك. يرقد متصلباً وممدداً مثل بساطٍ ملفوف وذراعاه إلى جانبيه تحت سريرنا يحدّق في شيء ما خلفي. طفلنا. بلا أيّ تعبير على وجهه على الإطلاق.

لاحقاً، استيقظ كلانا وتحدثنا عما جرى. قالت إنني كنت غاضباً للغاية.

"ووصفته بأنه غريب الأطوار".

"أعلم".

"عليك أن تعتذر إليه غداً".

"لقد كبر بما يكفي ليعرف أنه سبّب لنا الذعر، فأثار غضبي. عليه أن يتوقف عن فعل أشياء كهذه، فهي تثير القلق".

"يجب أن تعتذر إليه".

"أعلم. أنا آسف. كنت... مفزوعاً".

"أنا آسفة".

"لا أظنّ أنني خفت يوماً كما خفت البارحة".

"هلّا عانقتني؟"

بيت

مزاجي غريبٌ جداً. شربت القليل من الجعة ثم بعض الويسكي، ثم بعض الجنّ غير الجاهز.

كان الصوت في القرية مريباً للغاية. خرجت أتجول حول الحيّ وانتابني شعورٌ سيء فسارعت بالعودة إلى منزلي. الظلامُ متباين وغامض.

بحثت عن ملاذٍ في مطبخي لكن التوازن بين الأشياء المختلفة في

منزلي بدا غريباً تماماً. ثمّة أمرٌ سيء. يوجد كأس من الشراب على طاولتي، وصحيفةٌ وقلم، وكان الثلاثة في حالة تنافرٍ وعلى وشك الانفجار. كانت الأمور تحتدم.

جلستُ وتنفست بعمقٍ.

كنت قد ألصقت على الثلاجة بطاقة بريدية من صديقي بن، عليها صورة رافيليوس، حصان ويستبري الأعرج ويظهر القطار في الخلف. احتفظت بها لسنوات. نظرت إلى هذه الصورة، هذا المعلّم الإنجليزي الجميل، وشعرتُ بالغثيان. ملأ القيء فمي، وتبلل عنقي بالعرقِ من شدة الحمى. نزعت البطاقة عن الثلاجة وكنت على وشك تمزيقها، لكن بدا هذا كأنه لا يرضي الكراهية التي اشتعلت في داخلي تجاهها، والتي كانت شيئاً قديماً متراكماً. ابتلعت جرعةً أكبر من الجنّ وحدّقت في البطاقة البريدية.

كم كرهت تلك الصورة الغريبة. يبدو أنّ كراهيتي لهذه البطاقة كانت تختبئ تحت سطح وجودي الهادئ والله وحده يعلم منذ متى. كلّ حياتي المذنبة البغيضة اصطفت في طوابير جاهزة للانقضاض على هذه الصورة الكريهة.

لقد كرهتها بطرقٍ أخفيها في شخصيتي، في لحيتي، في أذني، تحت أظافري، منذ أن طلب مني والداي أن أرحل لأنني كنت مثلياً

ومصدراً للعار، منذ أن قرأت لأول مرة تلك الكتيبات حول ما فعله الرجل الإنجليزي الشجاع في البنغال، وفي كينيا، وفي أيرلندا الشمالية، ومنذ أن شاهدت الحيوانات تذبح أوّل مرة، منذ أن بعت روحي اللعينة لأول مرة إلى معرضٍ في لندن، وإلى مجلة لامعة، منذ أن رأيت أول مرةٍ أكياس السوبر ماركت في حناجر الطيور البحرية المتعفنة، ومنذ أن رأيت المساعدين الضاحكين خلفَ ستارة المحرقة يرمون الرماد على الأرض. هذا كلّه اصطف في طابور الانتظار مع كلّ هذه الأشياء المؤلمة، ولا أعرف ما كان يحدث، لكنني أتبخر الآن. هذا النباح يثير الغيظ. أخذت قلمَ حبرٍ. جلست ورسمت خطوطاً على تلك البطاقة البريدية بعنايةٍ شديدة. أدرتها في اتجاه آخر ورسمت خطوطاً تقطع تلك الخطوط لأصنع شبكةً تخفي تلالَ ويلتشير الخصبة، وهراءَ العصر الحجري الحديث الغامض، والغيوم المبشرة، والقطار ثنائي الأبعاد الجميل يعبر كلّ فدان مائي إنجليزي يمتد قبله وبعده، وكلّ معتوه يركبه، ومرة أخرى، أظلل الشبكة وأزيد خطوطها حتى يختفي رافيليوس في الليل المظلم مرة أخرى ذلك البائس، يلطخ وجوده حبر أسود لامع ويمحو الإيماءة اللطيفة لصديقي بن.

لم أعرف نفسي.

لم أعرف من أنا بحق السماء.

والدة لاني

لا أستطيع النوم. يبدو تنفّس روبرت مثل بابٍ صغيرٍ يعلق بالسجادة عند فتحهِ.

سمعت نقراً. صوت خطواتٍ.

شخصٌ ما يدخل. نقرٌ. صوت خطوات. شخص ما يغادر.

عادة ما أنام بعمق. لكن القريةِ خانقة ورطبة الليلة.

خلال فترة مرضي، وكان لاني طفلاً صغيراً، في لندن، قرأت كلّ الكتب المصممة لإثارة خوف الأمهات الصغيرات. كتبٌ حول الموت في المهد وسحق الطفل، والاختناق والحساسية، والجمجمة المسطحة والظهر المنحني، والعيون التالفة والحليب السيء. استيقظت في إحدى الليالي ولم يكن لاني يتنفس، لم أعترض. قبلتُ الأمر بسهولة. وعند منتصف الليل شعرت بعطشٍ شديد ونسيت أفكاري وكان اللحاف يغلي. كنت أحلم بذلك الفيلم عندما يدّعي الرجلُ في الحظيرة بأنه المسيح. بدت أضواء الشوارع صفراء سامة من خلال الستائر ومات الطفل.

استلقيت بهدوء كالأصنام. لم ألمسه. لم أصرخ. لم أتحرك ولم أتساءل عن مكان روبرت، ولم أصب بالذعر، لم أبك. بقيت مستلقية ورحت أفكر بتركيز. "لقد انتهى الأمر الآن ويمكنك استعادة رباطة جأشك"، قلت لنفسي. "هذه المأساة ستكون قصة حياتك كلها. لكنها حياتك ويمكنك النوم إلى الأبد إذا لزم الأمر. لقد فزتِ بالنّوم وخسرتِ الخوف. هذا

يكفي".

أتذكر تلك الليلة وأعتز بها بشكل غريب.

أطلق روبرت ريحاً أشبه بصوت بومة.

أنا مرتاحة في سريري، في هذا المنزل، في هذه القرية.

أتلو جزءاً من دعاء أو أردد كلمات أغنية عن تجاوز ويلات القدر سليمةً دون أن أصاب بأذى.

بابا توثوورت الميت

يخطو بابا توثوورت الميت خارجاً من بركةٍ بنيةٍ ويتجول عبر أرجاءِ القرية في نزهة مسائية مرتدياً زيّ رجلٍ عادي وقبعة مسطحة ومعطفاً مطرياً وحذاءً طويلاً. يصفّر أغنيته، والأغنية عبارة عن مجموعة من التعليمات الخاصة. يغذّي خريطته عن هذا المكان المألوف من قريته، ويغرسها مثل الأسلاك المشحمة في اللحم الناعم للقرية، في المباني والحدائق وأنابيب الصرف الصحي وخزانات المياه، ويصعد أعلى الممر إلى البيتِ الكبير ثم يدور حوله إلى الملعب الرياضي، يدخل مضخات البيرة، والكتب داخل الفصول الدراسية، في أنابيب الغاز والكهرباء، وفي جرس برج الكنيسة، يتغلغل في الخياشيم، ويدعكُ نفسه بالقطن، وبأجساد الرجال والنساء، ويطوى في تجاعيد تفوح منها رائحة العرق ويفرك عيونه الحمراء، يتغلغل في أحلام الأطفال وعظام وحوش المنزل

النائمين، ويبدأ في الكلام مثل صفارات الإنذار في حين بالكاد يستطيع أن يجمع أيّ فكرة عن تفسه. إنّه مرهق.

لقد فعل هذا من قبل ولكن لم يفعله قطّ بمثل هذا الإخلاص. إنه يقدّر هذا السلوك الفظيع. لطالما فعل. يبذلُ جهداً مرةً واحدةً في القرن، يجلبُ حلمه إلى حيز الوجود، ويهيئ القرية لاستقبال اللحظة الكبيرة.

بحلول الوقت الذي وصلَ فيه إلى طرفِ الغابة، انكمشَ إلى شيءٍ يشبه النسمة أو اللمحة، مجرد خطرٍ صامتٍ دافئ وقتَ الغسق، وقد شهدَ الغريزُ والبومُ هذا من قبل، وعلما أنّ عليهما أن يتجنبا إلقاء التحية، والاكتفاء بالاختباء.

2

تردد صوت أغانيه الدافئة .

مع إيقاع أنفاسه البديعة.

يغمرني بالعطايا

للحظةٍ أو اثنتين.

لاني؟

أتساءل أين هو.

لحظة أخرى.

أين لاني؟

لا تزال الكلمات مألوفة في هذه المرحلة تتغلغل في النسيج الطبيعي ليومي، مثل أينَ ملصق كلمة مرور الواي فاي؟ لماذا لا تزال الياقة تثير الحكة على الرغم من أنني قطعت الملصق؟ لماذا تستغرق صدور الدجاج هذه وقتاً طويلاً ليذوب الجليد عنها؟

أين ابني؟

تتكهن المرأة بلا مبالاةٍ حولَ مكانِ وجود طفلها لكنها لا تشعرُ بالقلق

لأن طفلها لا يكون أبداً في المكان الذي تعتقد أنه موجود فيه.

في مثل هذا الوقت المثالي من اليوم، أنظرُ إلى الوقت، إنه وقت إحضار الغسيل، ووقت الذهاب لإحضار لاني ليشرب الشاي معي، والوقت الذي أخصصه لنفسي، والوقت الذي أحتاجه لأنهض من السرير، والسّير في أرجاء المنزل، واستراق النظر إلى غرفته، ومناداة اسمه، أنادي باسمه في كلّ رقعة فارغة من المنزل، إنه يفعل هذا كلّ مرة. غنّ أغنيةً يا بني فالوقت يبدو بهيجاً، أصيحُ "لاني بين" في الحديقة، وأمشي في الشارع وأنا أنادي "لان-بن"، ولو عرفت حينها لكنت بالكاد تمكّنت من الزحف عبر الطريق، ناهيك عن الوقوف للاستمتاع بالضوء، فقط لو أنني عرفت.

لكن لم أكن أعرف.

رأيت نفسي كما لو أنني عدتُ إلى البداية. امرأةً على وشكِ أن تُسحق. تعيدُ ترميمَ نفسها نموذجاً للفشلِ والعذاب. بالطبع كنتُ أشعر بوجود خطبٍ ما.

بدا الوقتُ جامداً بلا ملامح إيذاناً باختياري شخصية رئيسية لحدثٍ ما. سيري في ذلك الطريقِ، جولي لويد، بعيداً عن ابنكِ.

تقف المرأة في منتصف الشارع وتتثاءب وتستريح. إنّها ممثلة بارعة. محترفة. هذا التثاؤب والاسترخاء، يكادَ يبدو حقيقياً.

تتمدد وتتنفس المكان، الإسفلت، الخبز، الزعرور المقطوع، رائحة سجائر فريد، المادة الحافظة للخشب، العفن، الديزل، ورائحة الزهر، تقف في الشارع بعد يومٍ من الانحناء فوق شاشتي، أبحث عن الطريق لأرى إن كان سيعود إلى المنزل بعد معسكره في الغابة.

أرسلتُ رسالةً نصية، أدعو فيها روبرت للدخول. حتى إنني دندنت الكلمات بهدوء عندما أرسلت الرسالة.

"هل ستعود إلى المنزل في الوقت المعتاد؟ سأعدّ الدجاج المغلف باللحم المقدد. شويت طبقاً جديداً. أحضر معكَ الشراب. أنا أبحث عن لاني كالعادة".

بحثتُ في الطريق حيث اعتاد اللعب مع الأصدقاء، ربما علقَ في حديثٍ مع بيجي أو يتجول في موقف سيارات الحانة لجمع أغطية العبوات البلاستيكية.

تشعرُ بوطأة الثواني تجثمُ على صدرها. تقفُ هناك وتفكّر مراراً وتكراراً ومراراً وتكراراً ومراراً وتكراراً.

"أيتها الجميلة. نعم، سأعود في الوقت المعتاد. طلبتُ الشراب الذي أردته وقد وصلني للتو. أليس لان في منزل بيت؟"

مراراً وتكراراً، ومراراً وتكراراً، ومراراً وتكراراً

"لا، خرج بيت اليوم. سأذهبُ للبحث عنه. قبلاتي"

كنت أفكر: سأدخل. إنها عطلة نهاية الأسبوع، مع طبق الدجاج الملفوف باللحم المقدد المفضل لدي، وجولي في مزاجٍ جيد، والطقسُ لطيفٌ، وزجاجة ريوخا ريزيرفا 2011 في حقيبتي، والمنصة تعلن عن وصول القطار إلى المحطة، وسيلة تنقلي المتواضعة.

امرأةٌ تمشي الهوينا إلى منزلِ أحد الجيران، إنسانٌ يمشي حافي القدمين على الطريق، ثم على الحصى الشائك ومن ثم على الحجارة الباردة، إنسان ينتقل من حياة إلى أخرى، سطحاً تلوَ سطح. إنها دراما مناسبة الآن، وليست عرضَ امرأةٍ واحدة.

طرقتُ الباب.

حدقتُ في ملصقات Neighbourhood Watch الستة وتساءلت لماذا لا تنزع السيدة لارتون الملصقات القديمة كلما وصلت الملصقات الجديدة. ربما تجنباً للمساءلة. وربما بدافعِ التفاخر. لإثبات وعيها بالتاريخ. وربما لأنها حمقاء.

طرقَتِ الباب. تمعنتُ من خلال العين الساحرة في وجهها جافَّ الملامح وتساءلتُ لماذا تخفي جولي لويد وجهها بهذا الشعر المجنون طالما لديها هذه الملامح الجميلة.

ربما لأسبابٍ تتعلق بالموضة، على ما أعتقد. أو ربما الخجل. لمنع زوجها

الشهواني من رؤيتها. وربما لأنها حمقاء.

كان بوسعي سماع صوت أنفاسها تقترب، وصوت خطواتها قادمةً من الردهة، تهمهم وتثرثر مع نفسها مثل ساحرةٍ خرافية. سمعتها تسحبُ مزلاجاً داخلياً تلو الآخر لبابها الخشبي السخيف. اختلسَت نظرةً خاطفةً من شقّ الباب وقالت بازدراء، أوه.

Telegram:@mbooks90

رأيتها تنتظر هناك، وتعبث بخيوط منديلها، وتعضّ على شفتها وتتململُ مثل مراهقٍ عصبي. كم استمتعت بفتح الباب ببطء، قفلاً تلو الآخر. وتظاهرتُ بالدهشة عند رؤيتها وقلت بمرحٍ: أوه!.

قلتُ: "مرحبا سيدة لارتون، هل رأيتِ ..." وقاطعتني،

"هل أنت شخصٌ متعلم؟"

"عذراً؟"

"هل ذهبت إلى مدرسة جيدة؟"

"أنا آسفة، سيدة لارتون، كنت فقط أبحث عن..." وقاطعتني مرة أخرى،

"لأنني أعتقد أن عبارة "ممنوع ركنُ السيارات على حافة الممر" مفهومة إلى حدّ ما، ويمكن لأيّ شخصٍ أن يقرأها حتى لو حظي بالتعليم الابتدائي فقط".

"أعتذر عن هذا. كان صديق روبرت، وقد تحرّك بمجرد مجيئك ورنّ الجرس وفي الواقع، آسفة، ولكن أتساءل هل رأيتِ لاني؟"

"الفتاة الصغيرة؟"

"امم، بل ابننا. إنهُ صبي. أنتِ تعرفين لاني".

وأغلقَتِ الباب بقوة.

قلتُ لنفسي، يجب أن أنتهي من هذا الشجار بشأن ركنِ السيارات، لكنها قاطعتني؛

"هل رأيتِ الطفل الصغير؟"

"عذراً؟"

"هل رأيتِ لاني في الجوار؟"

"أنا آسفة" قلت، "ولكني خرجت للترحيب بكِ في قريتنا، وأن أطلب منك على وجه الخصوص عدم ركن سياراتكم على حافة ممر بيتي".

تمتمت شيئاً عن زوجها اللامع وشركائه في قيادة السيارات الرياضية وحاولت تغيير الموضوع إلى طفلها الصغير الغريب.

يا للوقاحة.

"اعذريني، لكنني مشغولة الآن"، قلت.

وأغلقتُ البابَ بأدب.

احتقنَ وجهي خجلاً وشعرتُ بالدموع تغرورق في عيني. أنا أكرهُ المواجهة وشعرت بالإحراج. كنت أشتعل غضباً. تنفستُ بعمقٍ. كيف بوسع السيدة لارتون التصرف معي على هذا النحو. لقد فعلتها من قبل. يجد زوجي أنه من المضحك أن أشعر نحوها بالخوف والاحتقار، وأنني مهووسة بها، وأن بوسعها أن تزعجني كثيراً. ويقول مازحاً أنني سأقتلها..

إنها إحدى سمات زوجي أن يمزح حيالَ الأشياء التي تزعجني، هنا، في هذه القرية التي انتقلنا إليها حتى لا يتمكن من البقاء معنا، يوماً بعد يوم. في هذه القرية التي انتقلنا إليها حتى أستجدي امرأة عجوز مقززة لمساعدتي، لأكون شخصاً جيداً لمدة ثانيتين بينما أسألها إن كانت قد رأت طفلي في الجوار في فترة بعد الظهر.

***

تأملت الوضع وشعرت بالغضب. يجب أن أضع حداً لها وكان من دواعي سروري أن أفعل ذلك. شعرت بالارتياح. فكرت في سلوكها. إنهم حديثو العهد هنا. لقد ركنوا سيارتهم على حافة الممر. يعامل زوجها القرية كمكان للنوم وإعادة شحن بطارياته، قرية نموذجية للتباهي أمام صديقاته من كلافام أو أي مكان فظيع جاؤوا منه لاستنشاق الهواء

النقي أو ارتياد مدرسة جيدة، وأنا لا أطلب الكثير بل طلبت، بأدبٍ شديد، ألا يركنوا سياراتهم على حافة الممر لأن العناية بها تكلفني مبلغاً باهظاً، وقد جاءت تطرق بابي كأنّ شيئاً لم يكن.

اضطررت إلى إقناعها بالاعتذار، ولكن لم يشغل بالها سوى السؤال عن ابنها الشارد.

ركعتُ وقلت بصوت عالٍ في صندوق البريد، سيدة لارتون، هل رأيتِ لاني؟

هل تصدقون أنها فتحت صندوق رسائلي؟ لتصرخ بكلمات نابية في وجهي.

كنتُ مثل الطفل أمام حساءٍ ساخن من الإذلال والإحباط. أتمنى لو صورت كلّ هذا على هاتفي كي يراه روبرت. سأقتل نسخة غير مقنّعة من السيدة لارتون في روايتي التالية. كنت أشتعل غضباً.

شعرتُ صراحةً بالحيرة أمام هذا المشهد المقزز من عدم اللياقة والعدوانية. تمنيت لو كان ثمة شخصٌ ما ليشهد هذا. كنت بحاجة إلى حلقتين على الأقل من برنامج "التحف في العلية" لأستعيد سكينتي. كنت أشتعل غضباً.

ماذا لو عبّرنا عما شعرنا به حقاً؟

ماذا لو عبّر المرء عن شعوره الحقيقي؟

ماذا لو بدأنا نحن، أبناء وبنات هؤلاء العجائز الحمقى، في انتقاد وجهة نظرهم المشوهة للعالم، وأنانيتهم البشعة واستحقاقاتهم التافهة؟ ماذا لو قتلت السيدة لارتون؟ بالطبع سيصبح العالم مكاناً أفضل. كم سيكون جميلاً أن أركل بابها وأسألها مرة أخرى:

أتساءل فقط إن كنت قد رأيت ابني، أيها العاهرة الشمطاء، أيتها العفريتة الهائجة، وبالمناسبة أنا أكرهكِ، أكرهكِ، أنا أكرهك، وأحتقر رائحتك التي تشبه رائحة السجاد النتن والخبز المحمص؛ وأكره الحرير، ومربى البرتقال، والغاز والتحف. أشعر بالغثيان لمجرد التفكير في شفتك العلوية المصفرة مثل أذن الخروف، وخواتمك الموروثة المكدسة على مفاصلك القزمة التشرشلية، ومنزلك الرطب الضخم، وقلمكِ الفضي الثقيل في يدك القذرة التي تحلّ الألغاز في جريدتك اللعينة.

يا إلهي، أنت عجوز بشعة، أنت أسوأ ما في العيش هنا، أنت أسوأ شيء في هذه القرية الإنجليزية. أنت أسوأ شيء في إنجلترا. والقرى. أتمنى أن تموتي فيأتي شخص لطيف ليعيش هنا.

ماذا لو أخبرناهم، نحنُ جيل الأشخاص الذين عاشوا الحرب، ماذا لو أخبرنا هؤلاء الشباب الجبناء المغرورين أننا قاتلنا من أجل هذا البلد، ولا يمكنكم ببساطة شراء الشعور بالانتماء عبر هواتفكم المحمولة. لقد

هاجمتني وهي تصرخ أين لاني، كما لو أنني خبأته في غرفة المعيشة. كان بوسعي الاتصال بالشرطة. ثم كيف تسمح لنفسها بأن تأتي هنا وتضرب وتصرخ بأنها فقدت ابنها الصغير الغجري بشعره الباهت وغنائه الغريب. أود أن أخبرها عن المجتمع الحقيقي هنا، مجتمعٌ مات واندثر بفضل أشخاص مثلها، يشترون المنازل ويصممون مطابخ مفتوحة سخيفة وجدران زجاجية. بالطبع من الجنون أن نتوقع من هذه الفتاة الصغيرة التي تحمل اسماً مختلقاً أن تفهم أياً من هذا، فقد تكون أجنبية الأصل. أنا قلقة بشأن تأثيرها السلبي على مجتمعنا. أنا قلقة بشأن انحدار المعايير. أنا قلقة بشأن هذا البلد. آملُ أن تشعر بالملل وتترك شخصاً لائقاً يسكن مكانها.

لكني تحدثتُ بهدوء ولطف عبر صندوق البريد:

سيدة لارتون. أعتذر عن وقوف صديقنا على الحافة المشتركة. من فضلك، هل يمكن أن تتصلي بي إذا رأيتِ لاني؟ سنكون ممتنين جداً. لم يعد إلى المنزل بعد ظهر هذا اليوم وقد حلّ الظلام. شكراً لكِ. حسناً، وداعاً الآن.

لكن يبدو أنها أدركت خطأها على الفور:

سيدة لارتون، أنا ممتنة جداً للطفِ الكبير الذي أظهرته لنا. من فضلكِ، هل يمكنكِ الاتصال بي إذا رأيتِ لاني؟ نحن قلقون. لم يعد إلى المنزل

بعد دروس الرسم. شكراً لكِ. أنتِ لطيفة جداً.

كنت قد عبرت نصف الممر عندما سمعت صرير صندوق الرسائل. استدرت ورأيت أطراف أصابعها الصغيرة مفتوحة من الداخل، قالت كلمتين قبل أن تغلقه. بصقتِ الكلمات وتخيلتها تتدحرجُ في الطريق نحوي كما لو كانت تهربُ منها. شعرتُ تقريباً أنّ بوسعي التقاط الكلمات، ومسحها وتنظيفها من بصاقها الشبيه بالقطران ووضعها في جيبي.

بيت المجنون.

كانت تبتعد عبر الممر عندما شعرت أنني لا أستطيع منع نفسي من ذكر ما هو واضح للغاية. انتظرت حتى استدارت وتحدثت من خلال صندوق الرسائل، وأخبرتها بمكان الطفل. لم تبدِ أي ردّ فعلٍ، كما لو أنّ الكلمات التي قلتها قد تأخرت قليلاً في الوصول إليها. شعرت أنني لو سرتُ نحوها لسبقتُ كلماتي وقلتُ الاسم مباشرة في رأسها الغريب:

بيت المجنون.

ثم بدأ اسمُ "لاني" يتبرعمُ في رأسي مثل زهرة على غصن المساء. اسمُ "لاني" يطنّ في رأسي غريباً وشاذاً.

"مرحباً، أنا جولي، هل رأيتِ لاني؟"

آرتشي، هل لاني معكَ؟

ثيو، هل رأيت لاني منذ انصرافكم من المدرسة؟

إنها والدة لاني، تسأل إن كنا قد رأينا لاني.

أرسلَت جولي رسالةً تسأل إن كنا قد رأينا لاني.

اتصل بـ بيجي واسألها إن كانت قد رأت لاني، هلّا فعلت؟

إنها والدة لاني، تسأل إن كنا قد رأينا لاني. يبدو أنه ليس مع صديقه القديم.

اعتذرَت عن الاتصال بي في المنزل. قلتُ لها ما من داعٍ للقلق. كانت الساعة السابعة وخمسون دقيقة، وقد وضعت للتو الأطباق في الحوض.

قلت إن لاني غادر المدرسة واثباً كالمعتاد، والفرقُ الوحيد أنّه اصطحب مدربي الرياضة معه. أذكر بوضوح أنّه كان يحمل حقيبة تدريبه الصغيرة.

قلت لها من المفترض أنه في منزل بيت يحضرُ درس الرسم، فقالت لا، بيت في لندن اليوم.

مكالمة مذعورة من فيتي ماكفيترسون، تلك التي لم ير أحد زوجها، لقد فقدت طفلها غريب الأطوار.

لقد خيّم الظلام.

ثم بدأ اسمُ "بيت" يتبرعمُ في رأسي مثل زهرة على غصن المساء. اسمُ "بيت" يطنّ في رأسي غريباً وشاذاً.

هذا واضح، يبدو أنّ بيت المجنونَ دسّه داخل قبرٍ ضحل، ها.

لا أحبها، ولم أحبها يوماً. مغرورة.

أجاب على المكالمة من خلال مكبر صوت السيارة، نعم، إنه في طريقه، نعم، سيبحث عن لاني، ربما يقود سيارته في الطريق الخلفي في حالة عودة لاني إلى المنزل من مخيمه أو مكانٍ ما.

نعم ستوقف عند منزل بيت. نعم، إنه يعتقد أنه أمرٌ غريب، لكن ربما لا شيء يدعو إلى القلق، اللعنة، إنه يوم الجمعة، جهزي طبق الدجاج الملفوف في اللحم المقدد، أنا جاهز، أنا مستعدّ لالتهامه.

مرحبا "جُلي" أنا لورا، والدة بن، لقد استلمت رسالتك للتو –

جولي.

عفواً؟

اسمي جولي، وليس جُلي.

أوه، عذراً. جولي.

لا بأس. كنت تقولين؟

أوه، بن يقول إنه رأى لاني بعد ظهر اليوم ينزل الشارع الرئيسي بعد المدرسة.

ينزل؟

نعم، أعني أنه يسير باتجاه البلدة وليس في الاتجاه الآخر.

حسناً، شكراً لورا، هذا لطفٌ منكِ حقاً، أعتقد أنه ربما توقف لتناول الشاي مع صديق وسيعود في أيّ لحظة. شكراً لاتصالك.

حسناً، اعتني بـنفسكِ جُلي. يا إلهي، اعذريني، أقصد جولي.

منزل بيت مغلقٌ، والمصابيحُ مطفأة. حدّقت في الداخل. طرقت زجاج نافذة المطبخ. تنتشر كلّ تلك الأحجار الغريبة على حافة نافذة بيت. حجارة مليئة بالثقوب.

بيت؟

تجولت في الخلف في حال وجودهما في الاستوديو.

لان-بين؟

لانستر؟

لاندودنو؟

شعرت بالسخافة. إنه ليس هنا.

يوجد جذعُ شجرةٍ كبير من الألياف الزجاجية أسفلَ حديقة بيت. لطالما أردت معرفة ما إذا كانِ فارغاً من الداخل.

تسللت عبر العشب الطويل، وخطوتُ فوق علبِ الطلاء الصدئة والإطارات نصف المكتملة، وأجزاء الخشب الملتوية، وألواح الصخور، والطاولات والأربطة، ورؤوس الحيوانات، والله وحده يعلم ما تلك المنحوتات غير المكتملة أو غير المرغوب فيه أو كليهما.

أنا متأكد من أنني أول رجلٍ يرتدي بدلة بول سميث على الإطلاق يخطو فوق هذه الأرض المسحورة.

وعندما وصلت إلى الشجرة، كنت على يقينٍ إلى حدٍّ ما من أنّ لاني يختبئ فيها وسيقفز ويخيفني، لذلك صحتُ: لاني؟ قفزت إلى الجذع المفتوح وصحتُ:

أمسكتُ بك!

وجدتكَ.

لم يكن داخل الشجرة.

خدعتكم.

يوجد فقط حشائش وخردة داخل الشجرة. شعرت بالخوف يتسلل

إلى أعماقي. نظرت أعلى الحديقة وشعرت أنّ منزل بيت يراقبني. كلّ هذا الحطام القديم والخردوات في حديقة بيت شهدَت كيف جعلت من نفسي أحمقاً. وشهدَت فشليَ في العثور على ابني مختبئاً داخل شجرة مزيفة. بالطبع لن يختبئ لاني داخل الشجرة المزيفة.

قلت في داخلي: أرجوكَ لاني، لا تكن مزعجاً. عُد إلى المنزل.

هل نتصل بـ جولي لنطمئن إن عاد لاني؟ لقد حلّ الظلام، لا بدّ أنه عاد إلى المنزل.

كان سارحاً مع الجنيات، ذلك الصبي.

الدجاج ليس في الفرن، سأجلس طالما أنّ الدجاج لم يدخل الفرن أبداً.

تقف المرأة، كما لو كانت طبيعية تماماً، تحدق في هاتفها.

هل ذكرَ بيت رقم هاتفه المحمول من قبل؟

ربما في الواقع، ربما... لا، لا شيء. لا، تابعي.

بدأت أقلق.

الفنان بيتر بليث؟

نعم هو، هل يمكنك الاتصال بنا إذا رأيته؟

كانت الساعة العاشرة مساءً فجأةً وكان الشعور التدريجي بالدوار

يجتاح المنزل، تغلغل في صدورنا وحناجرنا وأذرعنا كما الأنفلونزا، وتشنجت مثانانتا، وضاق جلدنا علينا لأننا عرفنا أنّ الساعات تمرّ وكانت ساعات سيئة. تحولت الأمسية العادية إلى أمسيةٍ مفعمةٍ بالقلق الشديد، تحولت إلى ليلة رعبٍ لا نهاية لها، لم يعد هناك جولي، لم يعد هناك روبرت، لم يعد هناك عائلة ولا قصة. إنها العاشرة الآن، أين لاني. في الواقع، لم يبق خارج المنزل بعد حلول الظلام سوى مرة واحدة ولكن ليس بمفرده، لكنه اليوم ليس مع بيت ولن يقضي الليلة في منزل آرتشي أو ألف. سارَ روبرت حتى حقل جيانت، وصرخ بأعلى صوته طويلاً حتى بلغ صوته أعلى حقل الطائرات الورقية فإذا ما كان لاني في تلك الغابة فإنه ليس شقياً لدرجة أنه لن يردّ على النداء. وقد فعل جريج الأمر نفسه أيضاً، واستمر في النداء، وقادت سالي سيارتها في جميع أنحاء القرية تسعَ مراتٍ، ووصلت إلى البلدة ثم عادت أدراجها ببطءٍ تبحث عن لاني. إنه ولدٌ شقي ولكن ليس إلى هذه الدرجة. كلا ليس ولداً شقياً، ولم يتحدث أحدٌ عنه يوماً بأنه ولدٌ شقي. إنه ليس شقياً ولا يختبئ منا، فأين هو بحق الجحيم. لطالما تساءلنا عما يفعله، ماذا الذي يلعبه، وبماذا يلعب، لطالما تساءلنا عن ألاعيبِ لاني وعن حيل لاني الغريبة.

كنت أفكر بوضوح. الأدرينالين. سأل والدا جولي، لماذا لم تتصلا بالشرطة؟ إنه طفلٌ صغير. إنّه صبي صغير. ما الذي تفعلانه بحقّ السماء، طالما لم تتصلا بالشرطة؟ وماذا تفعلان في المنزل؟ ليبقَ أحدكما في المنزل قربَ الهاتف ويخرج الآخر حاملاً مشعلاً ليبحث عن الطفل، اذهبا

إلى مخيمه، إلى فناء الكنيسة، إلى الملعب، إلى المستنقع، إلى موقف الحافلة، إلى قاعة القزية، اذهبا إلى موقف سيارات الحانة، اذهبا إلى سياج البهشية.

هل وجدته؟ قالت: لا، عد إلى المنزل، الشرطة هنا.

عُد إلى المنزل.

الظلام دامس.

وقفت بيجي في الظلام قرب بوابتها، تراقب.

وصل عدد كبير من الأشخاص.

إنهم في الداخل يفتشون منزله، لذا لنتحدث بجدية، هذا مؤلم.

لم يتمكن أحدٌ من النوم.

صفارات الإنذار والأضواء الساطعة، يا صاح، واللحم المقدد على المائدة.

كنت أنظر من الستائر إلى الأضواء وجميع الأشخاص الذين يأتون ويرحلون جيئةً وذهاباً وقلت لغلوريا: هذا ما تعنيه كلمة "فجأة". أخبرني معلّم ذات مرة أنّ كلمة "فجأة" كسولة. وكذلك كلمة "لطيف".

ولكن فجأة، يا غلوريا، لم يكن هذا لطيفاً.

هذا ليس عرضاً نشاهده على التلفاز. لقد اختلط الليل بالنهار، لا أحد يعرف ما الوقت، وثمة الكثير من الشائعات السيئة، وكلّ ما نعرفه أنّ بيت خضعَ للاستجواب. بيتر بليث بحقّ الجحيم.

يوجد ثلاثة وعشرون شخصاً في بيتي وحشد من الناس في الممر والعديد من السيارات والشاحنات ورجل مسلح على السطح.

هل تريد التراجع عن أقوالك ستيوارت؟ يوجد مئات الأشخاص، في هذه الثانية بالذات، ينتقدون أسلوبهما في التربية. ويحكمان عليهما. ويروون القصص. لا أعتقد أنك تريد أن تكون ذلك الشخص، أليس كذلك؟

انظر إلي، روبرت. انظر إليّ، يا رجل. انظر إلي. إن كان قد لمسَ شعرةً واحدةً من رأس هذا الصبي، سأقطع أوصاله بيدي العاريتين. سأنتزع قلبهُ من صدره وأدعس عليه حتى يستوي بالأرض.

من المؤسف أنهما تركا الطفل بمفرده معه، ناهيكَ عن عدد لا يحصى من المرات السابقة.

أنا أنظر إلى يدي جولي المسكينة، النزيف الدامي على جانبي كلّ ظفر بعد أن عضت ومضغت أصابعها. تقول: من فضلك، حاول أن تفهم، لم أعد أفهم شيئاً.. جنّ جنون الوقت. يبدو الأمس كأنه مضى قبل أسابيع أو كأنه هذا الصباح، كلّ شيء مضطرب ومشوش. أنا آسفة. قال لها

الشرطي لا تعتذري. نظرت إلى فيرغوس وطلب كلانا الإذن للخروج.

تحوم طائرة هليكوبتر فوق القرية مثل نحلة سمينة، تحوم فوق السقف.

خبزٌ عاجلٌ، لا يوجد رجال مسنون أبرياء يتسكعون مع أطفال صغار.

ستخرج مجدداً؟ لا أستطيع النوم. رسمتُ أنا والأولاد دائرة ووضعنا منزل بيت المجنون وسطها، ورمينا حجراً على نافذته أيضاً. سنجد الطفل.

داست على الفرامل فجأةً. كدتُ أختنقُ بحزام الأمان. هزّت رأسها في وجهي في المرآة الجانبية. شعرتُ بالخوف لوجودي داخلَ سيارة شرطة.

أنت تستوعبُ مدى جدية هذا، أليس كذلك بيتر؟

تحرش، اختطاف، إساءة، تلاعب، حبس، احتجاز، كنت أستوعب بالكاد مدى خطورة الموقف، بالكاد يمكنني التعامل معه، لذلك ذهبَ بعضنا إلى الحانة واصطدم بحديثِ أشخاص آخرين، غرباء يثرثرون بشأن رجلٍ عجوز اختطف طفلاً.

توقفت وتنفست، ودقات قلبي تقول الوقت، الوقت، الوقت، حان الوقت لأضع الغسيل، حان الوقت لإحضار لاني، فكر ملياً، أستطيع سماعه، "كيف حالك يا أمي"، "أهلاً بني، هل تشرب الشاي؟"، "أنا جائع

جداً اليوم".

استمروا في سرد حقوقي على مسمعي، وأنني أستطيع طلب الطعام إن أردت، وأستطيع الذهاب إلى المرحاض إن كنت بحاجة لذلك. ثمة إضاءة شريطية بشعة، أغراضي في أكياس، ولم يسمح لأحد أن يسألني عن أي شيء حتى جاء أشخاص آخرون فأقول لكل واحد منهم يأتي إلى الغرفة الغارقة باللون الأزرق الفاتح إنني لن ألمس لاني، وأسألهم كلّ خمس دقائق عما حدث لـ لاني. أخذوا بصمات أصابعي وعينة من فمي ومسحة ليدي وقالوا إننا لسنا بحاجة إلى إذنك وكأنني أمنعهم!

سيكون من الأفضل أن تخبرنا الآن. أخبرنا الآن، بيت، هل أنت بريء، بيت، هل أنا بريء، بيت، في الغرفة الخامسة، مقابلة رقم 5، تذاكر القطار والملابس وهل يوجد أشخاص في منزلي، ينتظرون فيديو كاميرات المراقبة من محطة القطار ناشيونال ريل، من شارع كورك، نعم يوجد أشخاص في منزلي يا سيدي، يوجد أشخاص في منزلك وعليك إطلاعنا على مكان الصبي، أعتقد أنك تدرك أن بوسعنا فعل ما نشاء سيد بليث، وهمس أحدهم: قريب من ماذا؟ لأنهم يعتقدون، وأنت تعتقد، بأنني فعلت شيئاً لـ لاني، اعترف إذن أيها البائس الوضيع، لا، لا أريد المزيد من الشاي، ولا أريد محامياً. أريد أن أرى جولي أو روبرت، أريد العودة إلى المنزل، أريد أن أساعد في العثور على لاني. وفجأة ها أنت ذا أيها المجنون، يا له من كليشيه، وأشعر فجأة أنني أريد أمي أو

صاحب معرضي أو بن أو أيّ شخص يخبرهم أنني لست مجرد أحمق. أنا فنان مشهور، ليس هذا ما أعنيه، لا يهمّ، هل أنتَ، لا، يمكنني شراء مركز الشرطة هذا بأكمله إذا قمت ببيع بعض القطع القديمة في مشغلي، وأريد من لاني أن يشرح لهؤلاء الأشخاص، فقط افهموا، أخرجوني من هنا، قرأت بعض الأشياء عنك، أنت سيء السمعة إلى حدّ ما، أحضر لي لاني وحسب. سيد بليث، عليك أن تخبرنا أين هو، أنت شخصية مثيرة للجدل إلى حدّ ما، اهدأ أرجوك، هل عرف الوالدان بشأن عملك، الأشياء المروعة، "حسناً" تُسمع في أرجاء الغرفة، متى رأيت الطفل آخر مرة. يدور الشريط مرة أخرى، الجميع مستعدون، أخبرني في أي وقت تحتاج فيه إلى كوب من الشاي، سيد بليث، هل جاءنا نبأ من قسم التحقيقات الجنائية ميرسكوف، نحن على الجانب نفسه، بيت، هل يمكننا فقط أن نجعلك تقترب قليلاً من جهاز التسجيل لو سمحت، الجميع يريد الشيء نفسه، هل يمكننا الحصول على بعض الماء هنا من فضلكم وبعض المناديل، الجميع يريد عودة الصغير لاني آمناً إلى المنزل.

إنه لا يختبئ في هاتفك الخلوي أليس كذلك، أيها المتحذلق الصغير، اخرج وابحث عنه. ابحث عنه. تحرى عن مكانه.

حساء وصلوات. ثم المزيد من الحساء والمزيد من الصلوات. أصدقائي، لقد تدربنا على هذا.

لماذا حقيبته المدرسية وحذاؤه الرياضي في سقيفة منزلك؟

أتصور أنه وضعها هناك.

حاول مجدداً.

أعتقد أنه جاء ووضعها هناك. لقد فعل ذلك من قبل. إنه يدخل ويخرج من منزلي بحرية.

لماذا أخفيتها؟

لم أفعل.

هل تقسم في المحكمة أنك لم تضع تلك الحقيبتين في سقيفتك؟

أقسم.

سيتحرى الطب الشرعي عن هذا سيد بليث للتأكد مما إذا كنت تخبرنا الحقيقة.

أريد فنجاناً من الشاي. هذا محضُ جنون.

مرة أخرى، صن لسانك من فضلك.

قالت، هذا ما نفكر فيه جميعاً، وقلت، لا ليست إلين، لا ليست هي. هذا لا يمكن تصوره. لا أعتقد ذلك.

كلّ نتوءٍ في الحقل يبدو مثل طفلٍ ينحني. أعاني من إسهال.

للتوضيح، نحن نبحث عن طفل حي. هذا بحث عن طفلٍ مفقود. كلّ الاحتمالات الإحصائية تشير إلى أن لاني سيعود إلى المنزل في الساعات الست المقبلة، بارداً ومعتذراً.

إدوارد، إذا أخبرتني أيّ شيء عن نظريات المؤامرة أو المؤامرات، أقسم بالله إنني سأطلب الطلاق منك، اخرس وحسب، اخرس لمرةٍ واحدة، أو اخرج وابحث عنه.

هل يمكنك أن تصفَ ما ننظر إليه، بعض الأشياء من الاستوديو خاصتي. حاول أن تكون أكثر تحديداً، بعض، من فضلك هذا سخيف، من فضلك، إنه اسم لاني، استمر من فضلك، إنه اسم لاني مكتوب مراراً وتكراراً، خمس وخمسون مرة على وجه الدقة بيتر، السيد بليث المهووس، أليس هذا ما تود قوله، إنها مجرد خربشات، أقوم بقطع الحروف، والنمط، إنه مجرد شيء أفعله شارد الذهن، لكن لا بدّ أنك كنت تفكر فيه أثناء قيامك بذلك، لا، هل تقصد لا، أنت لم تكن تفكر فيه، لا، ليس كذلك، ربما، يبدو لي مثل رسالةَ حبّ، قد يبدو لمراقبٍ عادي أنّ هذا نوعٌ من الهوس إلى حدّ ما، لا، على الإطلاق، يمكنك أن تصف من أجل التسجيل ما ننظر إليه الآن، إن كان بوسعك الإجابة، بعض الأشياء من الاستوديو خاصتي، لم ينم في أيّ وقت، هل يمكنك وصف ما تراه من أجل التسجيل، إنها صفحة من كراسة الرسم، تابع، أنا لا أفهم، لقد سألتني وأجبتك. أريد أن أذهب لأساعد في العثور على لاني. أنا لا أفهم،

ما هو مرسوم على الصفحة السيد بليث. إنّه رسم لشخصين يمارسان الجنس، إنه مجرد رسم. ليس مجرد رسم، أليس كذلك. ربما يوجد عشرون ألف رسم في منزلي.

لا أعتقد. أنا فقط أرسم، أنا أرسم منذ عقود، وبعضها مثل هذا. سيد بليث أفهم ذلك ولكن اشرح لي الفرق بين "رسومات الحياة" هذه والرسومات الإباحية، لا. حسناً يا سيد بليث، سأعيد صياغة السؤال، هذه رسومات فاضحة لشخصيات خنثوية تمارس أفعالاً جنسية. لا، أين ذهبت السيدة اللطيفة التي تضع عطر الورد التي قالت إنه ليس لدي ما أقلق بشأنه. إنها تنصحك بالهدوء، من فضلك، لا، هذا سينفعك، يمكن أن نأخذ استراحة، لا أحبّ هذا. أريد الانتظار، مهلاً، تابع. ماذا. تابع. أنا، يا إلهي لا أعرف كيف أشرح لك، أنت تظنّ، مهلاً، سيد بليث دعنا نأخذ استراحة. هذا ليس ما تظن، أعلم ما ستقوله. لطالما رسمت مواضيع عن الجنس، دائماً، ولا مجال للربط، ما هذا الجنون المطلق. يداك الباردتان تؤكدان أنك مذنب، اهدأ. ما هذا؟ محاكمة فيكتورية بتهمة فعل فاضح؟ لا أشعر بالارتياح. أريد أن أتحدث إلى شخص آخر. هذا سخيف يا سادة، لقد كتب الناس رسائل دكتوراه عن رسوماتي. يا إلهي هل أنتم جادون؟ إنها ليست رسومات من سفّاحِ الجنس الذي تظنون، سبحان الله، أودّ أن أتحدث إلى شخص ما. إذن، في دروس الرسم مع لاني هل...؟ لا، لا، لا. توقف عن ذلك، لا أصدق. أوقف ماذا سيد بليث؟ اهدأ من فضلك. سيد بليث، في كلّ مرة يحرك يديه يترك أثراً تفوح منه رائحة العرق على

سطح الطاولة البلاستيكية السوداء. سيد بليث؟

يرفع يده.

يترك أثراً مبللاً مكانها.

لا يوجد فرق بين أصواتهم وصوته، يسمع الأفكار في رأسه ويعتقد أنه يستطيع سماع الأفكار في رؤوسهم أيضاً.

يرفع يده.

يرفع يده ويغسل هواء الغرفة البارد الرطوبة والحرارة من العلامة التي تركتها يده، ثم يضع يده الأخرى ويترك أثراً آخر ويظهر زوج آخر من بصمات رورشاخ، بصمات الحرارة، الإجهاد، ثم يتلاشى.

Telegram:@mbooks90

يفكر في النمل الذي يحملُ قطرات الماء على ظهره، وأكياس المياه الصغيرة ويتذكر السباحة في اليونان في سن المراهقة في البحر الدافئ الغريب والنقطة على الجرف حيث طلب منه السكان المحليون أن يغطسَ وفعل. غاصَ في الأعماق ووجد نبعاً يتدفق بالمياه العذبة الباردة.

ممرٌ من الصمتِ المتجمد يقطعُ ضجيج المياه المالحة الدافئة.

غطسَ مراراً وتكراراً وشعر بالدهشة في كلّ مرة.

مثل ضيفٍ في حفلِ زفافِ نوعين من المياه المتحاربتين، غطسَ عميقاً مرةً تلو الأخرى، بليث، عميقاً مرة أخرى في الماء، سيد بليث.

أقسم بالإنجيل، أقسم بحياة ابن عمي، أقسم بكل خطٍّ رسمته على الورق أو الخشب أو القماش، أنني لن أؤذي هذا الطفل أبداً.

سيد بليث؟

هل يمكنك أن تصف لجهاز التسجيل ما ننظر إليه؟

يستيقظ داخل شاحنة تفوح منها رائحة الكلوروفورم وتتجه إلى دوفر، نزولاً عبر فرنسا، إسبانيا، ثم عبر المغرب، دمية المنحرف الثري وثمّة ثمرة رمانٍ في فمه. ليلة سعيدة لورين. لا أريد أن أفكر في الأمر بعد اليوم. لا نعرف.

لا بدّ أن هناك من يعرف.

طوال اليوم، وكلّ يوم. اليد الثانية من السّاعة مثل سلكٍ شائكٍ قاطع.

باختصار؛ إنه غافل. غير واعٍ للتنمر، للمنافسة، لسياسات الصف. سارخ في خياله..

لكنه راقٍ وفطن في الوقت نفسه. "كان" من الممتع تدريسه. أقصد من الممتعِ تدريس. يا إلهي. آسف.

كنت أفكر كيف عليّ أن أتصرف؟ خرجت مجدداً ولكن فرق البحثِ كانت منظمة للغاية وقالوا جميعاً عُد إلى المنزل يا روبرت، وكنت أكثر البشر يأساً وإحباطاً.

أنت لا تفتأ تقول هذا. توقف عن الهذيان وركز على ما نعرفه.

كان ابن جوليان وفاي الأكبر يعدّ أطروحته عن بيتر بليث، كان معجباً بأعماله، لذا سيتعين عليه إعادة النظر الآن.

لون عينيه، وكيف يضرب المنضدة بقبضته عندما يستمتع بتناول وجبة. هيئة وشكل حقيبة ظهره، والتلال الصغيرة من النمش على أنفه وخدوده.

أخبرتهم.

لقد نسيت.

ذكرتُ هذا.

أذكر.

لون عينيه، وكيف يغني عندما يمشي. هيئة وشكل حقيبة ظهره، والندبة الصغيرة على عقلة إصبعه.

عمّ الصمت في الغرفة.

تلك الصورة لـ بيت في السبعينات، يقف مرتدياً زي (مون دوغ) بالكامل، أعني، ستتحرى عن تاريخ ذلك الوغد، أليس كذلك؟

تقول هذا مرة أخرى بطريقتها المهنية الناعمة المخملية: لا توجد طريقة مقبولة للردّ.

صحيفة فام أت لاست: كانت نان في أخبار الساعة العاشرة تتحدث عن كيف كان بيت المجنون مراوغاً جيداً.

أنا أتحدث، لكنني لا أميّز صوتي. صوتي وكل الأصوات الأخرى والضوضاء المدوية لحقيقة إنه لم يظهر بعد.

من هذا الرجل الذي يرتدي بدلة رمادية لامعة ويضع أكياساً بلاستيكية زرقاء على قدميه ويحمل جهازي آيباد ومختبراً كيميائياً محمولاً ويجلس على سرير لاني؟

يجب أن يتحققوا من مخزن الحطب خلف منزل بيجي، إنها تسرق الأطفال منذ العصور الوسطى.

يوجد خمسة عشر شخصاً يتحدثون في وقت واحد، مشغولون بنقل بيانات لاني إلى صفحة A4 عن المفقودين، بقعة في بحر المفقودين.

الخطوات الأساسية أساسية، وأيّ شيء آخر يمكن إنجازه لاحقاً، وسوف نفوز به من أجل الطفل.

كلّ ما سأقوله، ولم تسمع هذا مني، أنهم عثروا على بعض الأشياء الغريبة جداً في منزله.

الأرقُ حرفةُ الشيطان يا بني.

"ثمة شخص ما يعرف مكانه"، قالت سالي للمرة الرابعة والخمسين، وسأقتلها، لكنها صديقة وفية. ألم تكن سالي وفية؟

ابحث عنه. يا إلهي.. ابني. استبدل زوجي بابني، خذه، أبعده عن ناظري، أبعد الجميع عن ناظري.. سأغمض عينيّ وأرسم لاني داخل جفنيّ بالتفصيل، أنا وحدي قادرة على ذلك، وعندما أفتحهما أريد أن أراه.

تخيل، فقط تخيل أن تكون مكان تلك المرأة، حتى لمدة عشر دقائق، يا يسوع المسيح.

إنه سبب واحد ولا سبب غيره: الإهمال.

منشفة الشاي التي نقش عليها حيوان الراكون ذو الخدين تقول "يا رب أعطني الصبر ولكن أرجوك أسرع!" يا للوقاحة!

يقول جافين، الرقيب المناوب في فريق التحقيق في إساءة معاملة الأطفال، تحدث إلى روبرت. اسأل روبرت عن رأيه بالأمر.

فكر في الأمر، تخيل عدم امتلاكك أي فكرة عن مكان وجود ابنك،

طوال فترة بعد الظهر، أو أياماً بطولها.

كنت أفكر: دع والد جولي يفقد رباطة جأشه، دعه يقتل بيت ويعيد لاني إلى المنزل، دعه يضعني في السرير، دعه يعتني بي ويقلل من شأني ويعاملني كطفل إلى الأبد وإلى ما لا نهاية مقابل أن أرى لاني يتخطى عتبة الممر قائلاً: ماذا يحدث يا أبي، ماذا يفعل جدي وجدتي هنا؟

يجب أن أسأل. هل تريد أن يكون بيت قد قتل لاني فعلاً؟ أتُريد ذلك؟ هل تريد جثة؟

يقول نيس آدم، إنهم يعطون الأولوية لاختبار الحمض النووي عندما يتعلق الدليل بقضية الأشخاص المفقودين، ولكن مع ذلك، فإن المختبر موجود في لندن ولكي نكون واضحين تماماً، فإن الحمض النووي لـ لاني منتشرٌ في جميع أنحاء هذه القرية مثل الغبار الخيالي السحري. فقط لأكون واضحاً، الأدلة الجنائية تشير إلى أن لاني موجود في كلّ مكان. إنها أوّل وآخر الشارع وخلف البلدية وحول الحانة، وفي أكثر من دزينة من المنازل، وفي غرف النوم وغرف اللعب والمرائب، في الغابة، وحتى على الأشجار اللعينة، اعذر لغتي. لا مشكلة، سيد نيس آدم، تابع من فضلك! حسنا، يبدو الأمر تقريبا كما لو أنّ رائحة لاني هي رائحة القرية وأنه يحدق في وجوهنا جميعاً.

لقد بحثت في كلّ صندوق دراجة هوائية وفي كلّ مرة، وتحت كلّ غطاء مرفوع أو سلة مهملات، توقعت أن أرى طفلاً ميتاً وقد تسبب ذلك بإزعاج شديد وها أنا أشرب الليلة على الرغم من أنه يوم من أيام الحظر، اتفقنا؟

ألم أقل أنهما زوج غريب، جولي وروب، حسناً، ناهيك عن بيت والفتى، فهمت قصدي.

لا يوجد شيء اسمه الثقة. إنها أسطورة خبيثة.

أنا في الدفيئة. الفوضى تعمّ المكان. لقد تخلوا عن خطط زراعة الخضروات الطموحة. يوجد آثار حذاء شرطة على السرير. يوجد بقايا وعاء مكسور.

الزهور البيضاء الصغيرة تفتّحت على نباتات البطاطا، أمسكت بواحدة ورفعتها. داخل الحفرة، تتشبث بعض الأزهار بالجذور، ويوجد العشرات من حبات البطاطا الصغيرة المثالية. وكيس بلاستيكي. ركعت قرب الحفرة. مسحت الكيس على قميصي.

حدست أنه كيس مهم، لذلك تصرفت بحذر. نظرت إلى الوراء صوب المنزل، وصوب الأشخاص داخل منزلي. لا أريد أن يروا هذا.

إنه كيس تجميد مزود بسحاب. يوجد في داخله قطعة من الورق كتب عليها لاني.

أنا أتنفس بسرعة والسيناريوهات المحتملة تتناثر من رأسي مثل تناثر التربة من الجذر المهتز.

لكنها أبسط من ذلك. إنها حركة نموذجية جداً من لاني؛ اللطف والرغبة في نشر السعادة وسحر التفكير فيما سيأتي.

"مرحباً يا حاصد حبّات البطاطا، لنحتفل، فاليوم عيد البطاطا".

استلقيت على أرض الدفيئة القذرة، أمسك رسالة ابني التي كتبها قبل نحو مئة يوم أو أكثر، وأبكي وأطحن مفاصلي في الأرض. كنت سأجد هذه الرسالة. سأناديه. ونبتسم ونرفع حبات البطاطا الصغيرة معاً، ونهزها لتتخلص من التراب.

يمكنك أن تعانقها لكنها ستعض ذراعك.

كنت أفكر: هل سيقاتل لاني أو يقاوم شخصاً يحاول وضعه في سيارة؟ هل سيتعرض لاني للاعتداء الجنسي والقتل؟ هل تعاني جولي من هذه الأفكار؟ هل يمكنني حمايتها من هذه الأفكار؟ أعلم من التلفزيون أن لديهم كلاب مدربة يمكنها التقاط رائحة الجثث. هذه الكلاب ليست كلابَ جثث، إنها تبحث عن لاني الحيّ، يشمون رائحته المضحكة، وملابسه، وشعره المتسخ. كانت أفكاري ضبابية وكئيبة وكنت أتظاهر بأنني مشغول.

من المهم جداً أن تنامي.

لا أستطيع.

أستطيع مساعدتك.

إذا رغبتِ في المساعدة، اتصل بكلّ شخص تعرفه، كلّ شخص قابلته يوماً، وابحث في كلّ شبرٍ من هذا البلد حتى تجد طفلي ثم تعيده إلي.

لاني لا يشبه أحداً. لا أحد يذكر ما إذا كان بارعاً في كرة القدم. كان بارعاً في كرة القدم. يغني كثيراً. حقاً؟ غنّى كثيراً، لكن هل كان بارعاً في كرة القدم؟ كان يغني، لذلك سخروا منه. لا، ليس لاني، كان لديه نوع من السحر، اتفقنا جميعا على أنه كان غامضاً ومميزاً. نوع من السحر؟ وماذا، هل سحر البالغين، والأطفال، والجميع؟ لا أصدق ذلك.

في أي وقت من اليوم، ستجد عشرين شخصاً غريباً من الفضوليين، وسائحين مأساويين، يتجمعون قرب الشريط البلاستيكي. كم أثاروا غضبي. وأنجيلا لارتون اللعينة تجلب لهم الشاي.

قال شخص ما في موقف الحافلات أن توثوورت اختطفه.

بدأ والتر يتصرف بطريقة مضحكة، ينبح ويشمّ ذلك الشيء الغريب الصغير الخرساني الشبيه بعلبة حبوب منع الحمل بجوار حقل الكريكيت، وقلت لنفسي: اللعنة، ها نحن ذا، سأرى الجثة، سأضطر إلى حمل جثة

طفل ميت إلى المنزل على بعد ميل، سأظهر في الصحف، لكنها كانت جثة غرير متحلل واليرقات تتدفق من تجاويف عينه مثل جيش بطيء الحركة بلا قائد، يحمّل، ويتقهقر، ويدور في دوامة بارتباك.

حلمت بنفسي كالعذراء، أطعم لاني، طفل أوروبي يضع في معصمه سواراً مثل لوحة على ثوبي اللازوردي تظهر في خلفيتها القرية ويبدو روبرت صغيراً في الحقول يجمع القش، وعندما أطعمت لاني، كَبُرَ لاني وتضخم وتحول إلى رجلٍ طويل له عضلات كبيرة، منحوتاً وكأنه صنع من صخرةٍ خفية كان الطفل مسجوناً داخلها، وزحف إلى حضني، ملتحياً، وقد هبطت قبضته الكبيرة نحو الأرض، ما زال يرضع، ويسترق النظر إلى وجهي، نام سريعاً لكنه لم يرو عطشه، وكان نهداي مصنوعان من أوراق الملفوف، وابني مصنوع من الرخام، ويظهر روبرت في الخلفية صغيراً، يائساً، راكعاً يجمع القش بيأس، وفي المرآة، شبه الخفية، كانت بيت يرسمنا.

لا يعقل أن يكون الطفل المفقود مزعجاً أو مملاً، أليس كذلك؟ "لن نفتقد وجهه البسيط أو واجباته المدرسي النموذجية. لم يكن مميزاً، في الواقع كان مزعجاً بعض الشيء، ونحن سعداء برحيله".

عزيزيّ جولي وروبرت أنا أفكر بكما. أشعر بالسوء لأنني كنت أحياناً لئيماً مع لاني. ليس في معظم الأوقات، لكن وصفته مرةً بأنّه متخلف، وربما شعر بالاستياء. أنا آسف للغاية. أفكر فيه وأدعو الله أن يعود إلى

المنزل. من جيمس ستيد.

لقد قدموا لي غرفة في الفندق. نصحوني بعدم الظهور في القرية. لكني أريد البحث عن لاني. فقالوا: لا تستفز الناس. المشاعر تتأجج في مثل هذه الأوقات. ولكن أريد أن أرى جولي. أريد أن أساعد أصدقائي. أريد أن أعثر على لاني. ثم جاء رجل صغير يشبه الفأر النائم وقال إنني بحاجة إلى استشارة محامٍ.. حذرني من أنني قد لا أتمكن من العيش في القرية مرة أخرى. يجب أن أرى معالجاً نفسياً وأن أستفيد استفادة كاملة من الدعم القانوني والمالي والعاطفي المقدم لي. ولا يجب أن أتحدث إلى الصحف.

هل تؤمن بالله، سيد بليث؟

لا.

قال الفأر الناعس: أتحقق فحسب. يمكن أن تكون معلومة مفيدة.

كنت أعرف أنك عديم الإحساس لكنني لم أدرك أنك حقود.

الاغتصاب والقتل والعنف السادي: اقرأ مشاهد من رواية "ظهور الجريمة السرية المثيرة" لوالدة لاني.

اهدأ من فضلك. لا أريد تكرار أقوالي، من فضلك لا تعادي الجد. من فضلك احترم الوضع والعمل الدقيق الذي عليها القيام به الآن.

إنه عبدٌ جنسي في إسرائيل، إنه عازف متجول في فاس، إنه في كيس من أنقاض البناء على القاع الطيني لقناة دادلي، إنه في الحمض، إنه في مياه الصرف الصحي، إنه في الخرسانة، لديه وجه جديد الآن.

انظر في عيني وأخبرني أن الأمر ليس مثيراً، البلد بأكمله يترقّب.

ظننت أنه طفل صغير معافى يقفز هنا وهناك مثل أميرةٍ خرافية، ولكن لا يجوز أن نتحدث بالسوء عن الموتى، أليس كذلك؟

مشى بيت دورةً كاملةً حول القرية في وضحِ النهار السّاطع كما لو أنّه لا يبالي على الإطلاق، على أمل أن يحالفه الحظّ.

لم يعد مشتبهاً به. لديه حجة مثبتة بالدليل القاطع من اللحظة التي ترك فيها الصبي المدرسة حتى هذه اللحظة بالذات... دليل قاطع. هل يمكننا أن نكرر ذلك من أجل اختبار كابتن ويتش على آلة الفاكهة (آلةٌ لاختبار الميول الجنسية)؟

لم يسبق لكَ أن رأيتَ شيئاً يشبه مجموعاتِ هذا الطفل. مثل مجموعة بيت ريفيرس في غرفة نومه، حيث الخشب والبلورات والأحجار القديمة تحمل جميعها اسم "40 مليون سنة"، "شاطئ سوفولك"، " أول استثمارات أبي الحمقاء"، أسنان سمك القرش، دمى القلق، العقد، أوعية غسل الأصابع، البلوط، الأصداف، عظام الترقوة، كلّ شيء له اسم، وكلّ شيء مغمور بالمحبة.

إنه شجاع، حتى يأتي مباشرة إلى هنا ويتجرأ على النظر إلينا وجهاً لوجه.

عزيزيّ السيد والسيدة لويد، كنا في الغابة نلعب لعبة الرماية ووجدنا لاني يبني مخيمه، رحنا نناديه غريبَ الأطوار وركلنا الجدار وحطمناه قليلاً، وأوقعتْ لاني وضحكنا جميعاً. أنا آسف جداً، لقد كان فتى رائعاً حقاً وآمل أن يكون بخير وأن يعود إلى المنزل قريباً. من دين دوز. ملاحظة، أنا آسف.

بام لديها مكتبة عن هذه القذارة.

أيّ قذارة.

الأطفال المفقودون.

حقاً؟

جرائم القتل، ألغاز الأطفال المفقودون، كلّ تلك الكتب عن الأطفال القتلى المشهورين.

هذا هراء.

أجل، لقد أخبرتني أنها تحب هذه الأشياء.

هذا هراء.

أجل، وقالت أنّ وجودها بالقرب من هذه المأساة حلمٌ تحقق وتأمل نوعاً ما ألا ينتهي.

هذا أسوأ شيء سمعته في حياتي، فات بام شريرة.

نعم يا رجل، ولكن لا يجوز أن ندعوها فات بام، هذا ليس لطيفاً.

هل لي أن أذكرك، نيك، أنه منذ اليوم الأول، اليوم الأول، قالت جولي إنها لا تعتقد أن بيت سيؤذي طفلها. قالت ذلك منذ اليوم الأول.

أعلم أنك قدمت بسخاء أول 1000 بطاقة بريدية مجاناً، لكنك الشركة المحلية الوحيدة التي تتقاضى رسوماً مقابل المساعدة في الحملة، وأنت، كما تعلم، بولندي وبالتالي لست "من" المجتمع بالمعنى التقليدي، أكره أن أقول أنك كنت تستغل السيد والسيدة لويد، وتستغلّ مأساتنا الرهيبة.

يا للهول، أيها المتحرش، أنت وقح. لا يمكن أن تخدع مخادعاً. بعضنا لن يمانع البتة.

أعزائي،

التقيت كارولين هذا الصباح، محررة جولي لويد، ومارتن من الفريق القانوني للقسم، وأؤكد أننا سنسحب هذه الرواية من الجدول إلى أجل غير مسمى. شكراً لكم جميعاً على تفهمكم عند تسرّب الصفحات

وعلى اهتمامكم وإخلاصكم. أعتقد أننا يمكن أن نكون فخورين للغاية بالطريقة التي تصرفنا بها، كناشرين وأشخاص، خلال هذا الوقت العصيب لأحد كتّابنا الجدد الواعدين. مع أطيب الأمنيات،

سوزان

حفنة من الرجال الأقوياء، يهاجمون رجلاً عجوزاً. رجال كبار. يوجهون اللكمات للعجوز المنتحب..

الحقائق هي زادي وحياتي يا أنييسكا. سبعمئة ألف طفل يهربون كلّ عام. ويختطف حوالي 700 طفل سنوياً. دعونا نسمح باحتمالية الانتصار على الذعر الأعمى والأوهام الشريرة، هلّا فعلنا؟

هوارث صاحب السراويل الفاخرة القديمة لم يقل الكثير، أليس كذلك؟ يلتزم الصمت خشية أن تجد الشرطة المئات من جثث العاهرات في حديقته؟

تجثو بيجي على ركبتيها وتضع يديها العجوزتين على نقوش إكليل البلوط المحفور على قبر جدها الأكبر. وتهمس، اعتني به.

تنتظر وتسحب أطراف أصابعها فوق الخشب.

تتنهد. تعاني من آلام في ركبتيها وفي عمودها الفقري.

أنا أعرفك.

أعلم ما تنوين فعله.

أعيدي الصبي.

الكلاب المختلفة، يا صديقي، لن تشم رائحة طفل حي.

كأنها تخوض منافسات الأصالة، تسعى جاهدة لتكون الأكثر انتماءً هنا، لتحرس مكانها الخاص في الصورة. كلّ هذا أظهر مدى حقارة بعض الأشخاص بيننا.

شعره، عيناه، مشيته، أسنانه الأمامية، جواربه القصيرة، ركبته المتندبة، ضحكته. سوف تعرفه من الزغب الذهبي على ساقيه. أود أن أعرفه من أنفاسه الصباحية برائحة الحليب. اعثر عليه، اعثر عليه، اعثر عليه.

كانت جين تحدّث الصفحة كلّ خمس دقائق، لاني، #Lanny #Lannynews، #findLanny، ولكن على عكس جين، كنت في الواقع أتابع الأخبار، إذ كنت مدمناً على النظر إلى مظهري على التلفاز وقال الجميع إنني بدوت أنيقاً. من الواضح أنني بدوت حزيناً فعلاً ولكن أنيقاً أيضاً.

أود إعلامكم أننا نفكر بكم في كلّ ثانية من كلّ يوم، وهذا المساء، أقمنا صلاة جماعية خاصة للقديس أنطونيوس من أجل عودة لاني

بأمان، ونأمل أن تفتحوا قلوبكم لمحبة الله حتى يعود طفلكم بإذن الله. كلّ شيء مستطاعٌ للمؤمن.

التقيت به على متن الحافلة، ذلك الولد القذر، الأحمق المميز بحقيبة ظهره باهظة الثمن والسمرة التي بقيت من رحلة تزلج قريبة. سألته، "مرحباً، أيها المتسكع، هل أنت من كتب على الجدران كلمة توثوورت؟" وكان هناك وميض قصير لشيء يشبه الثقة، شيء يشبه اللطف على وجهه الخجول ولكن سرعان ما تلاشى وراح يبكي قائلاً: "آسف، أنا آسف جداً"، وهكذا، بعد ساعتين، كنا هناك، هو و والده مع أخيه وأنا، ننظف الجدار بصمت، لا أحد منا ينطق بكلمة لعينة واحدة، وما لم أقله، ولن أذكره، أنه عندما ماتت حيواناتي الأليفة، اعتاد والدي دائماً أن يقول "توثوورت أخذها". ربما لهذا السبب أخافني الأمر برمته كثيراً وأردت أن ينتهي.

لم أقدم نفسي بشكل صحيح، أنا أنجيلا لارتون، جارة لاني، وأعمل حلقة اتصال غير رسمية بين السلطات وجمعية القرية.

لن أكذب عليك يا صديقي، إنها فترة الازدهار في الحانة. لا أتذمر.

لا يخفى على أحد أن الشرطة أعطت نودي تحذيراً بشأن مكالماته الهاتفية المزيفة، قبل مدة طويلة. هل يظن أحدكم أن نودي قاتل أطفال؟

هل ذكر لاني يوماً أي أشخاص غرباء عندما كان يبني التعريشة، هل ذكر أي أشخاص بالغين قابلهم في الغابة؟

نعم، نعم، أيتها الدوقة النبيلة، بيت رجلٌ صلب، بيت لديه قلبٌ من الذهب، بيت ملحُ الأرض، بيت لن يضر ذبابة، وغيرها من الكليشيهات المعروفة التي سأفرغها حتى تجلب لي فتاتي القوية فنجان الشاي.

حديث قرية: الغول وكيفية استرضائه. قلت لها يا بيجي، أنت لا تواسينني كثيراً أيتها الفتاة العجوز.

كنت أفكر في كارولين فريمان ضابطة الاتصال، وتنورتها الضيقة وكعبها العالي المصنوع من الجلد اللامع، لذا تسللت إلى الحمام لأمارس العادة. المتعة المستترة، رفعُ تنورة كارولين فريمان حتى خصرها، واحمرار خدي كارولين فريمان وصلَ إلى عنقها، أهمس فوق كتفها لأقول لا تقلقي، لا أحد يمكنه سماعنا، ونعم، نعم، تريد دسّ إبهامي الرطب في مؤخرتها بينما أضاجعها، نعم من فضلك، روبرت، أوه، يا إلهي، العار والارتياح والشعور بالذنب.

في البداية سمعت صوتاً ولم أفكر كثيراً في ذلك لأن أليس غالباً ما تتحدث أثناء نومها، ولكن أدركت أنّ هناك صوتين، صوتين لطفلين. لذلك أيقظت غاري وسمع صوتين أيضاً، سمعنا أليس تتحدث إلى طفل آخر. نهضنا ونزلنا الممر واستطعنا سماع الصوتين، أقسم بحياة والدتي،

صوتين، غاري سيقول لكم الشيء نفسه، ووقفنا خارج غرفة أليس وأصغينا، وكانا يتحدثان مثل صديقين قديمين عن هذا وذاك، عن الأطعمة المفضلة لديهما، قالت أليس إنها لا يمكن أن تقبل زبدة الفول السوداني وأجاب الصوت الآخر، صوت الصبي: "أنا أيضا، زبدة الفول السوداني مقرفة". دفع غاري الباب لفتحه فوجدنا أليس تجلس بمفردها على سريرها وقلنا مع من تتحدثين، من معك في الغرفة، حبيبتي ألي، وراح غاري يبحث في الخزائن، وينظر خلف الباب، فقالت أليس: " لاني. كنت أتحدث إلى لاني". أعلم أن الناس سيحكمون علينا ويقولون إننا نختلق ذلك، لكنني أعتقد أن عائلتنا شهدت معجزة.

لن أقول لها هذا بنفسي، ولكن ينبغي لشخص ما أن يخبرها أنه لن يضيرها لو وضعت بعض الماكياج. تبدو ملامحها قاسية للغاية ويصعب التعاطف معها، هل تفهمني؟

لو كان ابنك أنت، وعاد إلى المنزل بعد كلّ هذا الشجار، ألن تشعر بالغضب؟ أنا لا أمزح حتى، أؤكد أنني سأنفجر غضباً.

كانت أكثر انزعاجاً – مهلاً، اسمعني – كانت أكثر انزعاجاً عندما تعرض بيت للضرب من انزعاجها بشأن لاني، مهلاً، اخرس، مهلاً، كلّ ما أقوله، كلّ ما أقوله، أن هناك شيئاً ما، حسناً انسوا الأمر، لا أحد منكم يريد أن يسمع الحقيقة، اغربوا جميعاً عن وجهي.

أنا معجب بما تفعلونه يا رفاق، لكنني لا أعتقد أنّ حفل جمع التبرعات المفتوح هو ما يحتاجه الطفل الصغير المسكين. ليس الآن، صحيح؟ سيظلّ مخطوفاً إذا سمع أنّ فرقة سلاطين بلينغ يقيمون حفلاً.

البشع في الأمر، تيريزا، هو السرعة المرعبة لحدوث كلّ شيء، مدى سرعة تحول الطفل المفقود إلى صناعة مزدهرة. إلى أي حدٍّ يجب أن نكون متمرسين؟

الظلام يحلّ بأمرٍ منك يا إلهي، ولا تمرّ خطيئة بلا عقاب.

عزيزتي جولي، لا أعلم إن كنتِ تتذكرينني، أنا أليسا، إحدى القابلات اللاتي ساعدنك في إنجاب لاني. أذكره وأذكرك أنتِ وزوجك اللطيف. أردت فقط أن تعرفي أنني أفكر بكِ وبطفلكِ الغالي كلّ يوم وآمل أن يعود إلى المنزل.

حفظت القضية وامتلأت الكؤوس. "يبدو أن القرية متواطئة في تأليف أساطير عن هذا الطفل غير العادي، وكأن قبول أنه مجرد طفل مفقود آخر يضرّ بهذا المكان، بهذه القرية الساحرة، وهذا المكان الخاص الاستثنائي".

اتصلت برئيسي فاتهمني بأنني عالقٌ في المكان. يقول لقد أصبحت مواطناً، أصبحت عاطفياً. لاحظ ذلك من لهجتي؛ "كان الطفل مختلفاً، دعنا نلغي البحث ونرسم بعض الصور الجميلة له. لا بد أنه تحول إلى

بومة وسافر إلى هوجورتس لتناول العشاء مع الأميرة ديانا".

لم يسبق لي أن رأيت امرأة مذنبة أكثر منها في حياتي، وهم مضطرون إلى حفر حديقة آل لويد.

أكثر ذنباً.

ماذا؟

أكثر ذنباً، وليس مذنبةً أكثر.

أتريد أن أصفعك؟

تقول السيدة اللطيفة، ستشعرُ أنه يناديكَ من الظلام، وكلّ ما لديك هو عدم اليقين، وثمة أصوات، وستتذكر أنّ طفلاً يُفقد في هذا البلد كلّ ثلاث دقائق، ثم سيبدأ من جديد، ستشعر أنه يناديك من الظلام، وكلّ ما لديك هو عدم اليقين. وألقي نظرة على الحافة الخزفية للحوض وأتساءل عن مدى صعوبة رمي نفسي فيه لتحطيم جمجمتي، وكسر رأسي فاندفع نحو النهاية، وأتذكر أن طفلاً يُفقد في هذا البلد كلّ ثلاث دقائق.

لاني طفل المفاتيح: يتجول بحرية

يعترف والدا لاني المفقود أنه كان حراً في التجول في القرية وغالباً لم يكن لديهم "أدنى فكرة" عن مكان وجوده.

وقفت ونظرت إلى القرية وفكرت في روبرت وجولي هناك والله وحده يعلم ما يجري لهما، وبيت المسكين وحيد ومذعور، متهمٌ بأشنع تهمة ممكنة، وطوابير الصحافة، وخيمهم، هذا النظام البيئي البشع من التلصص يتغذى عليهما معاً، وهذه الأيام التي خلت من النوم تبدو كأنها سنوات، شعرت بأزمة كاملة، وأنا أقف هناك عند الجدار. كيف لنا أن نثق بأي شيء يقال؟ كيف نثق بترك أطفالنا مع الآخرين؟ كيف نثق بأنفسنا؟ كيف عاش البشر في مجموعات بحق السماء؟ ركعت قرب الجدار وصليت. شعرت باليأس الخانق، شعرت أن الطفل المفقود هو ما نستحقه، القصة الوحيدة التي بقيت لنا، الأطفال المفقودون، قسوة الفكر جعلتني أشعر بالغثيان.

سعلت وعطست وجلست هناك في مأزق لعين حتى رأيت بول شيلتون يأتي مع كلبه اللابرادور الأسود، فاستجمعت قواي.

أنا متأكد من أنهم فرق متخصصة، لكنهم دمروا العشب وهناك كسر في حوض الطيور.

صافحه في الواقع، وعرض عليه بعض المساعدة في إصلاح منزله.

لقد مرت خمسة أيام؛ تبدو أشهراً.

أنا لا "أستخف بالأمر"، ماريون، ولكن لنكن صادقين، كلّ أحمق صغير يحاول أن يكون بطل الساعة، ويتصرف كما لو كان نجم أكشن في

مسلسل تلفزيوني، ويقدس القديس لاني، الأشخاص الذين لا يرفعون إصبعاً لمساعدة أي شخص آخر طوال وجودهم البائس فجأة أصبحوا في وضع البحث والإنقاذ. آسف إن وجدت الأمر يستدعي السخرية..

بيت؟

وقفت جولي تحدق بي. لم أذكر متى فتحت الباب. لم أعرف ما الوقت.

بيت.

بدت منهكة. باهتة. شبه شفافة وطيفية.

لقد بدت مثل كلّ الأمهات، عندما يحدث لهن أسوأ شيء في العالم.

لم أستطع التحرك. وقفت جامداً في مكاني مثل جسد القديس سيباستيان، كأن سهماً اخترق رأسي إلى أخمص قدمي عندما رأيتها أمامي.

يا إلهي جولي.

نظرَت إلى منزلي المحطم، والكتابة على الجدران والأشياء المكسورة، إلى شريط حاجز الشرطة والنسخ طبق الأصل من الأوراق الرسمية، والألوان التي أفرغت في مغسلتي وعلى خزائني.

نظرت إلى الكلمة الأرجوانية التي نقشت على جدار مطبخي "متحرش بالأطفال".

اقتربت ووضعت جبهتها على كتفي. لم أحضنها بل اكتفيت بالوقوف جامداً.

قالت: آسفة. وضعت خدي على رأسها وقلت: لا.

لا.

أنا آسفة.

أنا آسف.

أعلم أنك لن تفعل هذا.

هززت رأسي وحضنتها.

قال ميك مستنداً على حافة البار، لا تكوني ساذجة، عزيزتي، الأطفال المفقودون، والفتيات المقتولات، والنساء المغتصبات والمطاردات، والاتجار بالشباب، والآباء القتلة، وزنزانات الجنسي، والجثث في الأكياس وتحت الأقبية، إنها صناعة بمليارات الدولارات تشجعها بنشاط القوى التي أووه – وانحنى يلتقط الفول السوداني الذي سقط على السجادة المنقوشة وينهض وقد احمر وجهه من الإجهاد.

دائماً، أوه - يتجشأ في يده المقعرة - اتبع المال دائماً. حدّثني عن اقتصاديات التابلويد ومن يجلس خلف موائد السلطة. الشعر في فتحتي أنفه، المغطى بقطران العنبر، يهتز عندما يتحدث، ويحدق باستمرار في نهدي، يفتح أمامي ألغاز العالم وأنا أتساءل ماذا أطهو على العشاء.

سيعرف قراء هذا العمود أنني أحب أن أتخذ موقفاً ظاهرياً. لذا دعونا ننظر في أمر هذه المرأة. هذه المرأة، هذا النموذج من الألم الإنجليزي، مع هيكلها العظمي الجميل، والشعر الطبيعي والشفاه الشهية للتقبيل، من الواضح أنها تعيش أسوأ كابوس لكلّ أم. نعم، إنها ملكة إنجلترا المأساوية؛ اختيرت على وجه الخصوص من بين أمهاتٍ في مثل وضعها لتمثل كلّ أمّ مرعوبة لأن وجهها فاتن وقريتها رائعة الجمال. وهذا عادي حتى الآن. ولكن ماذا لو كان ثمة شيء غائبٌ عن مرأى الجميع؟ أليست مهمتنا يا عزيزي القارئ أن نلقي نظرة خاطفة خلف الكواليس؟ لست الوحيد في هذا البلد الذي يتساءل عن سلوك السيدة لويد الذي لا يبدو صائباً بالنسبة لي. ما سر هذه الممثلة المحترفة المدرّبة على التلاعب وإقناع الجماهير، على الرغم من أنه لا يقنعني تماماً؟ ما الذي يميز هذه الكاتبة (وفقاً للناشر المحتمل) التي تقدم "قصة إثارة نفسية محبوكة بشكل دقيق" (في حال أنك قرأت الصفحات المسربة التي تؤكد أنه كتابٌ شرير) والتي تبدو عاجزة عن الإقناع كنجمة لهذه الدراما العائلية؟ لأكون واضحاً، لا أعتقد أنها قاتلة، وسنرى ما سيظهر في الأسابيع والأشهر، وربما السنوات القادمة، لكن دعوني أقول الآن، أيها القراء

الأعزاء، ثمة لغز بشأن جولي لويد يدق أجراس الإنذار لدي.

بات الوضع خارج السيطرة الآن، هذه الأشياء تبدو كالمعجزة. صبيّ يبلغ من العمر أربع سنوات وبالكاد يستطيع حمل قلم رصاص كتبَ رسالةً من لاني، قائلاً إنه بخير، لكنه مع الملائكة. الكتابة اليدوية والمفردات بعيدة عن متناول أي طفل يبلغ من العمر أربع سنوات قطعاً، لكن معلمة الحضانة كانت هناك طوال الوقت، وشاهدت ما حدث بأم عينها. تكاثرت كاميرات التلفزيون، ورفضت العائلة مبالغ من ستة أرقام، الأمر كله مقلق للغاية في رأيي.

لقد تحدثت معه طوال الوقت. كنت أعرفه حقّ المعرفة. وذات مرة ذهبت أمي إلى منزلهم لاحتساء القهوة.

قلت له إذا أردت أن تعرف المعجزات، اسأل بيجي. مع العلم أن بيجي لم تنطق بكلمة واحدة لأيّ صحفي ولن تفعل.

لن تخمن أبداً ما رأيت للتو. رأيت روبرت يقف في موقف سيارات الحانة مع بيت وكانا يعانقان بعضهما. لا أقصد عناقاً سريعاً، أنا أتحدث عن عناق شديد كأنهما يعصران الحياة من بعضهما. بيت وقد اسودت الكدمة حول عينه، يا إلهي إنه يفطر القلب. كلاهما يرتجف ويتشبث بالآخر. لدي قلبٌ من حجر كما تعلمون، لكنني تأثرت بالمشهد إلى حدّ كبير.

نحن مخلوقات ثرثارة بائسة، سيدة بيريسفورد، مهووسون بمأساة الجهل. سيزيف، أطلس، إيكو، كلّ تلك النفوس المسكينة باتت تمثلنا. إنها أقدم قصة تروي حكايتهم جميعاً. حكاية ألمٍ لا ينتهي.

أنا لا أصغي إلى كلمة واحدة مما يقوله هذا الطبيب النفسي أو الضابط أو الطبيب أو مسؤول الاتصال أو أياً كان ما تقوله لي، لكن والديّ يصغيان، وعادةً ما يكون روبرت مستمعاً جيداً، روبرت الذكي ذو الرائحة اللطيفة بعد الاستحمام، يدي جافة جداً لدرجة أنها تشققت بين مفاصل الأصابع، يا له من مستمع جيد، يكتب الأشياء ثم، ماذا؟

ماذا قلت؟

أنت.

ماذا قلتِ؟

قالت: "لقد استعدنا حزمة من رسائل لاني، استلمناها هذا الصباح، وكانت في شجيرات السرخس عند حافة الأرض المشاع بالقرب من طريق جوست بايلوت ويجري النظر فيها في الوقت الحالي من قبل...".

وذلك عندما جنّ جنون جولي.

وذلك عندما جنّ جنوني كلياً.

تسببت بفوضى عارمة. لم أستطع الجلوس هناك والاستماع إلى

تلك المرأة التي تخبرني أنّ علينا الاقتناع بأن لاني فعل شيئاً لنفسه، وأن لاني كان "مستعداً" استناداً إلى هذا "الدليل" الأخير للقيام ببعض الأشياء غير العادية، ويود المحلل النفسي العودة لطرح المزيد من الأسئلة حول لاني وسلوكه والمحادثات التي أجريتها معه، ونعم، لقد عيل صبري وانفجرت في نوبة غضب عنيف لم أتخيل أبداً أنني قادرة عليها، ولا أود الاعتذار إطلاقاً ولست نادمة. وددت الاستمرار في التحطيم والصراخ. أخبرت تلك المرأة أنها إذا لم تتصل برؤسائها وتُحضر لي تلك الرسائل في غضون ساعة، سأخرج تلك العيون الزرقاء الجميلة من رأسها وألتهمها.

ظننتُ أنهم بدأوا يفهمون لاني وقدرته على التملص والهروب من كلّ محاولة للإمساك به. لقد اعتدت على هذا. كنت أسأل نفسي أين لاني طوال سنوات. ما خطب هذا الفتى؟

خرج فريق من ستةٍ منا يبحث في الخارج مجدداً. ومشطنا الغابة.

انضم إلينا بيت لاحقاً، وراح ينادي في البستان وحول سور هوارث. مَن يدري. لا يسعني سوى الأمل والانتظار.

من الصعب وصف الاضطراب، والضرر الذي يلحقه بعمليات التفكير العادية. من الصعب وصف الصدمة، كلّ شيء مشوه، توقٌ لا يوصف، عطش لا يهدأ لأي معلومة، كلّ شيء يتحطم أمام الأوامر الدنيوية من

الدماغ أو البطن. حوار مرهق طوال الوقت؛ انظر إليّ وأنا أشرب كوباً من الشاي بينما حفيدي مفقود في الخارج، انظر إلي وأنا أطوي ملابس ابنتي كما لو أن ذلك سيعيد الطفل المفقود. ننادي معاً لاني لاني لاني، أزيز اسمه يهيمن على كلّ حيّز ممكن من العقل. أقرب تجربة يمكنني التفكير فيها عندما اختبأت تحت المقعد عام 1963 مع زملائي في الفصل في انتظار سقوط قنبلة نووية علينا. كان وشيكاً. وشيكاً جداً.

ما يقارب نصف دزينة من الورق، مربوطة بخيط أخضر، ملفوفة بشبكة ناعمة. الجميع يهمس، ها هي. إنها الملاحظات. أخفى لاني الملاحظات بين الشجيرات.

لا يوجد رد فعل مناسب أعرفه لمثل هذا الموقف.

الآن، إنها تنمو تحتنا، وتنمو فوقنا.

أصنع سيفاً!

أجمع مياه الأمطار.

أمزجه مع بصاق بشري وقليل من التراب

وسيكون الخليط سحرياً، من أجلك فقط،

الرجل الأخضر يمزج جرعاته

وأخاط لي معطفاً خريفياً من أجل رحلتي

للعقِ النسغ. أحزم حقيبتي.

استعد وانتظر

سوف يكشف المزيج خطتك.

تجلس في الحديقة طوال فترة ما بعد الظهر وتعيد قراءتها مراراً وتكراراً.

سمعتها تقرأ إحداها: لن أنسى اليوم على عجل.

الناس يأتون ويذهبون.

كل هؤلاء الخبراء والصحفيين والغرباء الطيبين يرتجفون ويرتعدون من الطبيعة الغريبة لهذا.

أفكارٌ في رأسه.

انظر إليهم الآن.

سمعت أحدهم يقول: "الشذوذ لا يخفي نفسه يا صاح".

لقد تغيرت نبرة التكهنات تماماً. حتى الآن كان هناك خاطف أطفالٍ في أذهاننا، أو سارق، أو رجل يؤذي لاني. كان يكبر كلَ يوم، وتكبر أنيابه ومهاراته السادية، وتكبر قواه الخارقة التي تتهرب من القانون وتثبت

خبرة وكيل السفر. يبدو أنّ الرسائل نفت وجود ذلك الرجل.

سمعت أحدهم يقول على هاتفه، شجع المتطوعين على التفكير مثل طفل، مثل طفل غريب جداً.

لحية الرجل العجوز واللبلاب والطحالب، تعيش مئات المواسم دون أن تصاب بأذى.

العالمُ لن يدمر إذا زرعت الأشجار فيه. الأشجار تتولى الأمر.

المطر يجد طريقه من حولي، يهرب مني،

أنا الأوراق الشمعية والصوان الصلب، أخزن أشعة شمس الغد في لحائي، غير مرئية.

أذهب وأجلس هناك معها ونقرأ الرسائل معاً ولا نقول أي شيء.

لم ينطق أي منا بكلمة بل اكتفينا بالنظر إليها. إنها غريبة جداً. وقف ريك هناك ومعه (المبادئ التوجيهية لتحقيق أفضل الأدلة) داخل مجلد من البلاستيك، ويردد دون توقف "ما هي الحقيقة اللعينة".

كنت أفكر: يا لها من حياة عديمة الشكل. أفتقد رحلتي اليومية إلى العمل. أفتقد تنقلي ذهاباً وإياباً. أقلّب فكرة في ذهني، سراً، أحدّق في كلمات لاني الغريبة، يجد المطر طريقه من حولي. علقت الفكرة في ذهني مثل فطيرة ساخنة، هل عدم افتقادي له يعني أنني لا أكنّ

نحوه أي مشاعر. إذا لم أكن محورياً في دراما فقدانه، فهل سأهتم حقاً برحيله. هل هذا من المحرمات؟ هل هذه حقيقة فاضحة عني؟ إنه أمر فظيع، هذا السّر. ربما يكون هذا التفكير الواضح الوحيد الذي قمت به على الإطلاق، هنا، وحدي مع زوجتي الثكلى، عند قراءة هذه التعويذات أو الخطط الغريبة التي تركها لاني لنا. نعم، أقول لنفسي، إنها الحقيقة. أنا أفكر بوضوح. يسرني أن أدرك هذا الآن، عنا جميعاً. لا أحد منا يشعر بأي شيء تجاه أي شخص آخر. إنه مجرد تظاهر.

يبدو أن هؤلاء القوم المعتلون قد رحلوا، ربما انتقلوا إلى مأساة جديدة في مكان ما. مُطاردو المحن.

كارلا، من فضلك، نحن نموت من العطش هنا. سواء ثمة طفل مفقود أم لا، لا ينبغي لنا أن ننتظر ست دقائق للحصول على كوبين من شراب فوستر.

حسناً يا سيدي صاحب الرفعة، لنفترض أنّ لديك مخطوطة رواية جولي، ألن تزيد قيمة ذلك الكتاب مع كلّ كلمة تضاف عن لاني الصغير؟ أليست الكاتبة المجهولة الأكثر قبولاً للتمويل في البلاد اليوم، باستثناء أحد أفراد العائلة المالكة؟

ترتفع أسعار العقارات في الحزام الأخضر، يا صديقي. إنها في مأمن من المتاعب. تأتي فترات الركود وتذهب، ويولد الأطفال، ويضيعون،

يكبرون ويموتون. من واجبنا أن نبني. نخبُ أرضنا الخضراء الجميلة، نخب قيمتها.

إنّ فكرة وجود مكان آمن فكرةٌ استبدادية.

نشعر جميعاً بالحماقة.

أصلي لأجل الكرامة والمسرّة الدائمة.

الإيمان بالإشارات.

إذا لم تكن خائفاً، فأنت لا تفعل ذلك بشكل صحيح.

أوقات تعيسة.

ما زلنا نبحث.

عادت بيجي إلى بوابتها العتيقة. تفرك الخشب البالي. تنتظر.

تصغي إلى النهايات.

تنتظر.

3

لقد انطمرت تحت اللحاف، لم تكن جولي معي، وشعرت أنّ أيّ منصةٍ حجرية بنيت على هذا الجزء من العالم كانت تتدحرج في سريرها وصرت في وضعٍ مائلٍ، والأشياء الخفية تبرز وتكسر السطح. نظرت من النافذة ورأيت مقدمة سفينة طباشيرية ضخمة تتجه صوب الحديقة، بارتفاع مئات الأقدام، تتوهج تحت ضوء القمر.

كنت أنطمر تحت الملاءات، روبرت لم يكن معي، ربما غفوتُ على الأريكة، وبدا أن المنزل انقلب داخله خارجه، الحصى على الأرض، واللبلاب على الجدران، وإسفين سميك من إبر الصنوبر في حلقي يخنقني. نظرت إلى جسدي ورأيت أنه يلمع مبتلاً ومرقطاً مثل البزاقة؛ متشنجاً، لامعاً ولزجاً.

وجدت نفسي عالقاً داخل ملابسي، أنام على طاولة المطبخ، نوماً ناعماً وهانئاً، أستمتع بأحلامي وكانت الطاولة دافئة فأدركت أنها مصنوعة من جلد بشري حي، رائحته نظيفة، نابضة بالحياة، تهمس استيقظ بيت، صوت ناعم ساخن قرب خدي، صوت فتي ونابض بالحياة قرب وجهي العجوز: استيقظ بيت.

ينظر بيتر بليث نحو الأسفل في جوف الليل الحالك ويدرك أنّه على طاولة مطبخه، حيث كان نائماً، توجد بطاقة صغيرة. إنها دعوة. يقرأها

فترهبه الصدمة وتجعل جسده مقبوضاً وقلبه المتعب ينبض بسرعة. لا يتردد بيت، يرش وجهه بالماء البارد من صنبور المطبخ، ويسرع إلى الحمام ليتبول، ثم يسحب معطفه وحذاءه. يتمتم لنفسه ولا يأخذ حتى مفتاحاً أو يطفئ أضواءه أو يغلق بابه الأمامي، بل يسارع إلى الخروج من منزله إلى المكان الذي دُعي للذهاب إليه.

إنه ضوء القمر، الطريق بالكاد مظلم لكن الوقت منتصف الليل، وهناك رائحة بطة أو إوزة ميتة، وبعض فضلات الطيور المائية مختلطة مع رائحة الديزل أو الشحوم. مساء غريب، يقول بيت لنفسه، وهو يسرع في طريقه إلى الشارع الرئيسي. غريب جداً. يتوقف بيت عن السير. إنه قادم إلى شارع القرية كما لو أنه جاء من الجانب الآخر، كما لو كان عائداً إلى المنزل..

كما لو كان يمشي في صورة المرآة أو الانطباع العكسي للقرية. أنا أفهمك، قال بيت، القرية عبارة عن نسخة خشبية، وأنا أمشي هنا في كتلة القطع نفسها. لا يهم، فهو نصف نائم. والطقس بارد. مجرد خدعة من خدع الليل. ينفخ بيت أنفاسه بشكل أنيق وموجّه، ويضمّ شفتيه مثل المدخن أو عازف الفلوت. يقطع الشارع كما لو أن كلباً قوياً متحمساً يقوده. يشعر بالارتباك مرة أخرى لأن كلّ شيء معكوس، إنه ينزل باتجاه منزل بيجي، بدلاً من أن يصعد نحوه، يتكئ على بوابتها، لكنه لم يعبر الردهة. يجب أن تكون على الجانب الآخر. شخص ما قلب هذه القرية

اللعينة رأساً على عقب، يفكر بيت في نفسه، لكنه لا يمانع، فهو مشغول للغاية. تبدو بيجي شابة وجميلة وبوابتها لم تتلف بعد على الرغم من الفرك الذي تعرضت له معظم القرن، وإخوتها الجنود يلعبون الكرة في ضوء القمر وراءها. يقترب بيت ليلقي التحية على بيجي. "اذهب" تقول بيجي. "اذهب بيتر، لا وقت للتوقف، عليك أن تصل إلى هناك، لن يرغب بأن تتأخر".

يبتسم ويلوح لها ويسارع في طريقه إلى الأمام صعوداً إلى ما يجب أن يكون أسفل التل، إلى قاعة القرية.

المصابيح مضاءة لكنه يشعر بالتوتر فجأة، ويتمنى أن يعرف الوقت، يتمنى أن يعرف ما يمكن توقعه. لم يشارك في عروض القرية يوماً. في أي وقت من السنة نحن؟ ما عساه يكون؟

يسمع بيت صوت خطوات سريعة فترتعد أوصاله، فالرجال الذين تعرضوا للضرب مؤخراً يجفلون بسرعة، لكنها جولي. "يا إلهي، أنا مسرور لرؤية جولي"، قال لنفسه.

إنها تحمل دعوة مجعدة في قبضتها.

يسمع صوت المزيد من الخطوات، وإذ بروبرت يتجه نحوهما تحت ضوء الليل البلاتيني.

روبرت؟ تقول جولي.

بيت؟ قال روبرت.

جميعهم يحملون القطع الصغيرة من الورق المقوى.

بابا توثوورت الميت يُقدّم

لاني: النهاية

قاعة القرية

الليلة

يدخلون، ويتجمعون ويتنقلون مثل ثلاثة أطفال متوترين. أغلق الباب الخشبي الثقيل خلفهم.

الرائحة المعتادة لقاعة القرية (الطين المجفف، آثار المتقاعدين، إسفنج ترتيب الزهور، البول، الأحذية الرياضية ذات الرائحة الكريهة) رائحة كريهة قوية لا يستطيع كلّ من الضيوف الثلاثة المدعوين تحملها تماماً. إنها الرائحة اللطيفة والغريبة للإسفلت المنصهر، لكنها طبيعية وناضجة ومثيرة للغثيان وحلوة وثمة شيء ميت أو متحلل داخلها. تمايل الضيوف الثلاثة هناك عند المدخل، كأنهم مخدرون يقارنون الذكريات بالرائحة، ويتأقلمون.

لديهم أكواب بلاستيكية من النبيذ الأحمر في أيديهم، وتذاكر اليانصيب الوردية. أضواء القاعة حادة ومتقطعة وتصدر أزيزاً.

يجد الضيوف الثلاثة أنفسهم جالسين في مقاعدهم. لم ينبس أحدهم بكلمة.

"مرحباً بكم"، يقول صوت من المسرح. "حسناً، ها نحن جميعاً. إذن: التذكرة رقم 1؟ الرقم الوردي 1؟ هل من أحد؟"

على المسرح الصغير يوجد رسم رجل بارتفاع ستة أقدام. إنه رجل لاني عديم الكتفين الذي رسمه في أول درس مع بيت. يتمايل قليلاً، بأرجل فارغة ومستطيلات قذرة بدل القدمين. لديه صدر يشبه الصندوق. ليس لديه رقبة، وعلى قمة وجهه المبتسم عشرات الخطوط الأنيقة من الشعر الذي يقف ضد الجاذبية طويلاً ومنتصباً. من منتصف جسده، على ارتفاع الحلمة، ينطلق ذراعان طويلان ينتهيان بدوائر بدل الأصابع. يهز ذراعيه الأفقيين المتصلبين.

"كنت ستعرفني في أيّ مكان، أليس كذلك، بيت؟" قال.

إنه يتحدث بصوت بيت.

تلتفت جولي وروبرت للنظر إلى بيت الجالس في المنتصف والدموع تحرز تقدماً لامعاً على خدي الوجه العجوز، لكنه لم يقل شيئاً.

أشار الرجل إلى بيت بشكل أخرق بيديه الجامدتين والمسطحتين.

"التذكرة الوردية رقم 1؟ تعال هنا، بيت. لقد حصلت على التذكرة الأولى. بيتر؟"

بيت لا يتحرك، لا يمكنه أن يتحرك.

الوجه المبتسم ثابت ويقول مرة أخرى، بصوت بيت نفسه، "تعال الآن أيها الرجل العجوز".

ببطء، كما لو كانت أرجل الكرسي متصلة برافعات غير مرئية في عيون الرجل المرسومة، يُسحب مقعد بيت نحو المسرح. بيت ينتحب، بلا صوت. تنزلق قدماه عبر الأرض، عالقة إلى الوراء تحت كرسيه مثل أقدام رجل ميت. يائس. يداه مستلقيتان بشكل مثير للشفقة في حضنه. يهز رأسه.

ينقل بثبات إلى المنصة التي يقف عليها الرجل المرسوم. يصطدم الكرسي بسطح المسرح.

يحدق بيت به.

يقول الرسم "أصلحني".

يهز بيت رأسه.

يتحدث الوجه المبتسم لرسم الطفل مرة أخرى، كما لو كان تسجيلاً، ويسمع بيت نفسه يتحدث إلى لاني، بعد ظهر ذلك اليوم الأول.

"حسناً، لاني. من أين تبدأ ذراعاك؟ لقد خرجت ذراعا هذا الرجل من جانبي جسده، فما رأيك؟"

يهز بيت رأسه.

يصرخ الرسم:

"أصلحني".

يبدأ روبرت وجولي فجأة في النداء بصرخات التشجيع: "أصلحه!" "أصلحه".

ينهض بيت ويصعد خشبة المسرح، تتصدع ركبتاه بجهد، ويمسح أنفه بكمه.

"أصلحه".

يمسك بأحد ذراعي الرجل المرسوم وينزعها. يضعها أرضاً ويسحب الذراع الأخرى.

يتمايل الرسم ويبتسم ويخرج لسانه، لكنه ليس لساناً، إنه قلم رصاص سميك. يبصقه على المسرح وينحني بيت لالتقاطه.

"أصلحني يا بيت المجنون".

ينظر بيت إلى جولي وروبرت لكنهما أصبحا دمى لامعة الوجه، ومشجعين رياضيين بلاستيكيين، يبتسمان ويهتزان في مقاعدهما.

يرفع القلم ويرسم خطاً. فيبقى ثابتاً. يبدأ الرسم حول صندوقِ صدر الرجل، يضع خطوطاً نظيفةً جيدة، وبالتأكيد تظهر الملامح حقيقيةً،

متصلةً ببعضها ومعلقة، تنمو من أكتاف الرجل، ذراع واحدة، ذراعان، أذرع مرسومة جيداً، والرسم ينحني ويثني أطرافه الجديدة كلما ظهرت. ومن الرسم الخام المسطح لـ لاني ينبثق شيء حقيقي وصحيح للحياة المتحركة للعضلات. يعمل بيت بسرعة.

"هيا، بيت!" يقول روبرت البلاستيكي.

"هيا، بيت!" تصفيق تصفيق، تصفع جولي فخذيها آلياً. "هيا، بيت!" تصفيق تصفيق تصفيق!

يتحدث الرسم مرة أخرى، كما تحدث بيت ذات مرة:

"الآن، دور الرأس يا لاني. هل لي أن أطلب منك أن تفكر في جسدك وترى ما إذا كان ثمّة شيء بين رأسك وصدرك؟"

يقف بيت على رؤوس أصابعه ويشد الرأس، ينزع الرأس في لحظات، يحمل الوجه عالياً بإحدى الذراعين بينما يرسم رقبة سميكة جيدة، ونتوء تفاحة آدم، والبروز الطفيف للعصب، ويضعه مكانه مرة أخرى ويظلل الذقن والرقبة معاً.

"شكراً لك". يهدر صوت العملاق الهجين- نصفه رسم أولي لطفل، ونصفه الآخر تفاصيل حيوية مكتملة - يخفق صدرهُ ثلاثي الأبعاد، "أوه نعم!" يمدّ يده ويضم ذراعيه حول بيت، يعانقه، ويبكي بيت، يرتجف وذراعاه بجانبه، ممسكاً بقلمه الرصاص. يضغط الرجل عليه بأذرع

جديدة قوية، أذرع مناسبة، يضغط على ذقنه بقوة، ويصدر بيت صفيراً ويكافح من أجل التنفس، محاصراً في العناق. إنه مقيد وعاجز ويبدأ الرجل المرسوم في غناء الأغنية التي غناها لاني في ذلك اليوم، وينضم صوت روبرت المزيف الحاد وصوت جولي غير الحقيقي في انسجام تام، من الخلف، ولا يستطيع بيت التنفس، يمكنه فقط الاستماع، ويبدو الأمر مروعاً بأصوات البالغين، تحولت أغنية الطفل شارد الذهن إلى هتاف محموم، تحولت إلى شيء مهدد، وبدأ يشعر بالنعاس من شدة الضغط، يشعر وكأنه طفل في قبضة دوامة الحمى، ويبدأ في الانزلاق، يبدأ في الانزلاق إلى مكان دافئ وراء هذا العناق الوحشي، نحو الراحة التي يشعر بها داخل الأغنية في مكان ما، داخل أغنية لاني.

يغني الجميع: "الليمون آه، سيارة مريرة، ليمون رر، فينم ارر، مينوم هي، ويتر كاه، فيتيكار،...".

يضغط عليه الرسم الحي وقد استسلم بيت واهناً الآن، معلقاً في العناق، يتضاءل مثل زيّ فارغ لرجلٍ عجوز. تغني جولي وروبرت بصوتٍ عالٍ وبوقاحة، "ليمون آه، سيارة مريرة، ليمن ررر" يخبطان أقدامهما، ويصفقان بأيديهما، والرجل المرسوم يميل ويهمس في أذن بيت، بصوت بيت، "يمكنك رؤيته، أليس كذلك؟ مراهقاً؟ تتمنى، أليس كذلك، بيت. تتمنى! يمكنك أن ترى لاني، إنه محرج قليلاً من رؤيتك، ربما مع زملائه في محطة الحافلات، لديه لحية خفيفة، وصوت مكسور، لا يلقي

التحيةً، بل يومئ برأسه بنظرة تآمرية، رابطة من نوع ما، نعم؟ حسناً بيت. هل يمكنك رؤية لاني المراهق، بيت؟ هل هذه إحدى نهاياتك؟"

يتلاشى بيت، ينزلق في الظلام، تصبح القاعة ذكرى، الظلام يلفه، ويبتسم للاقتراح، لأنه، نعم، هذا بالضبط ما رآه، وما يتوق إلى رؤيته، فيجيب:

"نعم".

عاد جميع الضيوف الثلاثة إلى مقاعدهم مذعورين وغرقوا في الظلام. صامتين، يرتعشون برداً ويعتريهم الذهول.

هناك صوت حفيفٍ وسحقٍ وصوت وقعِ خطواتٍ تدعس على النباتات وسيقانها.

يقول توثوورت بصوتٍ شابة إنجليزية: "ليكن نورٌ". إنها تضحك ضحكة غزلٍ منعش.

"بداية جيدة، عمل ممتاز من بيت العجوز المجنون".

تضاء المصابيح ويرى روبرت أنها فتاة مثالية. من المؤلم أن ينظر إليها رجل مؤمن.

"الآن، التذكرة الوردية 2؟ روبرت، هل أنتَ مستعدٌ للعب؟" يشير توثوورت بإصبع زهري.

يقفز روبرت من كرسيه. يرتدي ملابس الركض ليكرا باهظة الثمن. اختفت جولي وبيت. وبقي روبرت وتوثوورت وحدهما.

أجاب: "مستعد دائماً".

يتأرجح توثوورت في كعب هولي هوك بارتفاع ست بوصات، على الأرض الإسفنجية للنباتات الطفيلية. كادت تنزلق لكن روبرت أمسك بها من مرفقها. رائحتها مذهلة.

"شكراً"، تضغط على يده بيدها الرطبة. "الآن، عليك التركيز، عزيزي"، تهمس، وتنفخ أنفاس المسك الرطب على رقبته، "حان الوقت لاختبارك الأول".

ظهرَ هاتف محمول يطفو على ارتفاع الرأس في بركة ذات شاشة لزرقاء خاصة بها.

يمدد روبرت عضلات ربلة الساق ويخطو إلى الأمام. يحتك مرفقه بصدرها وهو يمر وينبض قضيبه قليلاً داخل سرواله الرياضي الضيق.

"جاهز".

ينتزع الهاتف المحمول من السطح أمامه. إنه معتاد على التعامل مع جهاز مثل هذا.

"الآن، روبرت لويد،" يقول توثوورت المثير. "انظر إلى هذه الصور. هل هذه إحدى نهاياتك؟"

يحدق في الشاشة، يعقد حاجبيه، وينقر عليها بإصبعه. إنه غير راضٍ عما يراه.

توثوورت يلهث بهدوء، يهسهس، ويطلق روائح عشبية.

"روبرت؟ هل هذه إحدى نهاياتك؟

يهز رأسه ويزيح الهاتف بعيداً. "لا، لا".

يستقيم ويلتفت إلى توثوورت، "من فضلك، لا..."

"أخبرني ماذا ترى، روبرت"، يقول توثوورت الذي بدأ لحمه الناعم ينتج براعم وبتلات صغيرة. أسنانها الجميلة تلين وتتحول إلى حبات من التوت الأبيض وتتحول شفتاها إلى حبتا فاصولياء.

يتعرق روبرت وتظهر لديه بقع داكنة تحت ذراعيه وعلى صدره. يفتح قميص الليكرا ويمسح جبينه.

"يا إلهي، لا. أرجوك".

"نعم، روبرت؟"

"إنه، إنه لاني. إنه... لا أريد أن أقول".

"عليك أن تقول ما تراه، روبرت. وإلا لا يمكننا المضي قدماً".

"إنه... يتعرض لاعتداء. يتعرض للأذى".

"هل هذه إحدى نهاياتك؟ هل رأيت هذا؟"

يحدق روبرت في الهاتف المحمول. يخدش رأسه مثل تلميذ يواجه حساباً صعباً.

"أنا آسف لاستعجالك، روبرت، لكن يجب أن أسأل، هل هذه واحدة من نهاياتك؟ هل هذا شيء رأيته لابنك؟"

ابتعد روبرت عن الهاتف، وعيناه تغرورقان بالدموع، وحدق في المكان الذي كانت فيه جولي وبيت، وقال: "نعم".

اختفى الهاتف.

قالت توثوورت التي أصبحت الآن مغطاة بالكامل بالزهور المتعفنة، "برافو، روبرت"، حورية نباتية رطبة بلا حواف، لهجتها المصقولة تنهار مثل الحصى، وعيناها وفمها يتسرب منهما سائل زيتي أخضر.

"كان هذا تصرفاً شجاعاً. بالطبع رأيت تلك الصور. أنت شجاع جداً للاعتراف بذلك. الآن، الشاشة الثانية من فضلك".

ظهرَ هاتفٌ جديد. يقترب روبرت ويبدأ في التمرير بعزم، مستعداً

للمزيد من الألم، ولكن بينما يحدق في الشاشة المتوهجة يبتسم. يفتح قبضته الفارغة ويضحك.

يستدير ليبتسم ل توثوورت خلفه. "ما الأمر روبرت؟ هل هذه إحدى نهاياتك؟"

"إنه رائع. إنه لاني ويبدو وسيماً جداً. حياً يرزق. في أواخر العشرينات، أوائل الثلاثينات؟ في بدلة أنيقة، يبتسم بعمق وثمة فتاة جميلة تترفق ذراعه. عيناه الخضراوان تتألقان. بدلة جميلة بحقّ. لاني على قيد الحياة وبصحة جيدة ومتزوج".

"هذا رائع، روبرت. هل هذه إحدى نهاياتك؟"

يشعر روبرت بارتياح شديد، وكأن ثقلاً انزاح عن ظهره، مسحوراً بتلك الصور لابنه لدرجة أنه يجيب، دون تفكير: "نعم!"

باتت القاعة غارقة في الظلام.

اختفت الملابس الرياضية، اختفت الهواتف. ارتعش روبرت واندفع عرق بارد على صدغيه وخلف عنقه. لا يستطيع أن يتكلم أو يتحرك أو يتذكر ما الخطأ الذي ارتكبه.

"أوه يا عزيزي، روبرت. فشلت. يجب أن تقول الحقيقة في أوقات كهذه. لقد نجح بيت في ذلك، أليس كذلك؟"

يلفه توثوورت في عناق خانق، ويزلقه عبر القاعة ويلقيه فوق كرسي بلاستيكي وهو يعرج ويحلم.

"ليس جيداً على الإطلاق، روبرت".

روبرت.

روبرت.

روبرت؟ تنقر جولي على كتفه لكنه غرق في النوم.

"بيت؟"

الرجلان ممددان على كراسيهما، يشخران.

تنظر في أرجاء القاعة فتجدها قد عادت مجرد قاعة. يبدو أنها عادت إلى الحياة الحقيقية، أو أنها استيقظت، أو أنها على قيد الحياة، أو لم تعد تعاني من كابوس..

تتساءل عما إذا كان عليها العودة، وتتساءل عما إذا كان ضباط الشرطة الذين يقفون في الخارج أربعاً وعشرين ساعة في اليوم قد لاحظوا مغادرتها، أو ربما ذهبوا، ربما استسلموا جميعاً، ربما انتهى كلّ شيء أو أنه لم يحدث أبداً. تفرك وجهها براحة يدها الجافة وتتنفس الهواء البارد العفن في القاعة، وتتخيل ما مرّ على هذا المكان من حفلات تعميدٍ وبلوغ وتقاعد واليوبيلات والذكرى السنوية؛ والاستيقاظ باكراً

وصباحات الأهل مع الطفل الصغير. تتنفس جزيئات اللحم لأجيال من القرويين قبلها وتستشعر طعمها مثل العفن والصوف الرطب.

"آه، أخيراً،" يقولُ صوتٌ من الزاوية المظلمة من القاعة، "أنا وأنتِ وحدنا. التذكرة الوردية رقم 3. التذكرة المهمة. التذكرة الحاسمة".

إنه يجلس متقاطع الساقين، في أجمل خلق رأته على الإطلاق؛ تمثالٌ، ضريخ، مذبح متلألئ مصنوع من أشياء طبيعية. تمشي نحوه عبر الأوراق المجعدة والأغصان والأرضية الطينية للقاعة.

إنها تعريشة لاني. بابا توثوورت الميت يجلس في انتظارها في الداخل. يرتدي زياً مزركشاً، رجل أخضر ضخم جداً بالنسبة لباب السقيفة، حاجباه كثيفان من أوراق البلوط، وخدود ممتلئة، وشعر من اللبلاب، ولحيته سنابل قمح. يمكنها أن ترى علامات الجبس على خديه، والبقايا اللزجة لبطاقة سعرٍ صفراء. يهز كتفيه ويغمز.

ترتفع التعريشة من الأرض مثل اليد المقعرة، والجزء الأكبر منها مصنوع من أغصان منسوجة ومكدسة والتعريشة محاكة بخبرة عالية، ومثبتة بالسيقان والأغصان والطين وعرائش زهرِ العسل التي جرى تجريدها ونسجها بصبر، كما عُزلت أرضيتها بكثافة بالطحالب والنشارة المحشوة في الفجوات، وبطنت بفراش وقد تصمد موسماً أو موسمين. التعريشة قوية وجميلة.

يقول توثوورت: "وانظري إلى التفاصيل"، وترى حين تنحني وتنظر في الداخل، أن بيضَ الطيور والحصى والقواقع وأصداف الحلزون والعظام تزين الداخل، مثل غارٍ أو كنيسةٍ وثنية صغيرة مزينة بمحبة. ترتفع طبقات مثل المقطع العرضي الجيولوجي من القاعدة وحلقة من القش المعقود من لحاء الأشنات وآنية فخارية مكسورة مجمعة من مكبات خشب الزان. كلّ شيء منسوج بإحكام معاً ويوحي بالترحاب الشديد. إنه مذهل. جلست بجانب توثوورت وشعرت أنها تثق به.

يميل رأسه متسائلاً. فأومأت برأسها.

ينظر في عينيها كأنه يطلب الإذن. حبست أنفاسها.

قالت: "أرجوك".

وهكذا وقف بابا توثوورت الميت وانفتح بلطف ليظهر لها لاني.

تختفي التعريشة، وكلّ شيء، ويجلسان على أرضية الغابة تحت أشعة شمس الصباح. تسمع صوت طفلها، يغني، أغنية لاني الغريبة، نصف أغنية نصف ترنيمة، وها هو يرتدي سروالاً وقميص المدرسة، يعبثُ ويخطط ويندفع بدقة وتركيز ليضع بعض العلامات المبكرة، ويمسح الأرض، ويرسم محيط المكان بعصا، يمحوه ويرسمه مجدداً، مثل مقطع فيديو عن الطبيعة بتقنية الفاصل الزمني، تشاهده ألف مرة في الثانية، ملاكها المجنح الصغير، يعتني بإبداعاته، شروق الشمس وغروبها، وتراكم

أيام الصبر، وتتذكر حياتهم في المنزل، وقته في المدرسة، وشعورها بما كانت تظن أنه مكانه الحقيقي، اتضح أنه مجرد مكان يزوره مجبراً.

من الرائع أن تراه. إنها السعادة المطلقة. إنه غير حقيقي، بل مجرد ذكرى لاني عن الأشياء التي لمسها؛ إنها تدرك ذلك. إنه شفاف، يدخل ويخرج من الواقع مثل الضوء نفسه، ولكن لا يزال هذا سلوكه وصوته ولغة جسده الرائعة وعيناه الخضراوان غير العاديتين. إنها تراقب و ترى التعريشة تتحول إلى جزء من الغابة..

Telegram:@mbooks90

ثمة غزال يدسّ رأسه في المدخل، ثم سيدة في منتصف العمر تحمل خريطة ذخائر، ثم سنجاب، ويرقد لاني على الأرض يغني بأعلى صوته، ويأخذ حفنة من النشارة ويبتسم، ثم يبكي ويضرب الأرض، ثم ينحني ليكتب وصفاته الصغيرة الغريبة، ورسائله، وخططه، ثم يرحل وتصبح التعريشة متهالكة بانتظاره، والدفء يجلب سكاكين غريبة من الضوء إلى المكان. إنّه مكان مقدّس. عادت بشرة توثوورت الخرسانية طريةً تنبض بالحياة، وبات مصنوعاً من أوراق شجر حقيقية الآن، ويبتسم لجولي ويلفظ كلمة "راقبي".

ارتفعت الجدران من حولهم، لاني يقفز ويعبث، يغير ويبدّل، يغزل ويحيك، يصفر ويثرثر، وتشعر جولي بأنفاسه على خدها. تغلق عينيها وتشعر بالنبض القوي للنهار والليل، وعندما تفتحهما تُبنى الجدران ويندفع لاني داخلاً وخارجاً بينها وبين توثوورت، مضيفاً أصداف

الحلزون والطباشير، والمكسرات والتوت القاسي، والحشرات الميتة والأغصان المثيرة للاهتمام في كلّ فجوة ممكنة، ثم ترى أطفالاً آخرين تتعرف عليهم بإيجاز في التعريشة، يضحكون، وأحدهم يحطم جداراً، ويعود لاني لإصلاحه بصبر، يبتسم أثناء العمل ثم يستلقي ويحدق في عيني والدته مباشرة. تبتسم وطفلها يبتسم لها.

يغني: "عليك أن تتلو صلواتك وأن تكون ولداً طيباً أيضاً، وإلا جاء بابا توثوورت الميت ليقبض عليك حياً"، ويغمض عينيه.

يقول، "تعيش لحية الرجل العجوز واللبلاب والطحالب مئات الفصول دون أن تصاب بأذى".

"لاني؟ حبيبي؟" لا يمكنه سماعها.

يجثم أمامها، وقد أظلم توثوورت، ونضح رأسه الورقي بالعفن والفطريات والتموجات البنية، متعرقاً، مثقلاً بالعفن والإنزيمات. رائحته تشبه رائحة الحقيقة العفوية، مثل الجنس والموت. هذا مريح، وجولي عانقت نفسها وتنفست الصعداء. الغرفة تهتز، تشخر، تهمهم. يبدو أن توثوورت يتقلص، ويذبل على نفسه، اسودّ الفطر وتحول إلى كتلٍ رطبة، تحول إلى سماد خريفي مبلل.

يحدق بها. يرفع يداً واحدة، والتي تتغير من فطر أحمر الخدود مثالي إلى كرة من الذباب وتختفي. يرفع الخطوط العريضة الباهتة ليده

الأخرى إلى شفتيه ويضربها بقبلة.

يقول شيئاً ولكن كلّ ما تسمعه هو الأزيز. إنه يغرق في الأرض.

"ماذا؟" قالت. "ماذا؟"

يبدو أنه يهمس "تابعي" أو "من أجلك" ويصبح وجهه داكناً مثل لطخةٍ وهو يذوب.

تلاحظ أن لاني يحزم الأشياء في حقيبته، ويستعد للرحيل. الليل يزحف من خلال فجوات الجدران.

"لا".

تشعر جولي بالذعر، وتحاول الوصول إلى ابنها لكنها محبوسة في مكانها. ساقاها ثابتتان. لا تستطيع الحراك.

ينهض لاني ويأخذ حقيبته ويخرج من التعريشة.

"انتظر".

يركض مبتعداً إلى أعلى المسار، يتجاوز شجرة الزعرور فوق الدعامة ويدخل الغابة الداكنة، يندفع عبر الأشجار، ويقفز فوق الجذوع والجذور، وحقيبته ترتد على ظهره.

"لاني".

تحاول أن تطارده، لكنها تشاهد فقط. إنها بصرٌ فقط دون جسد. تتبعه ولكن ليس بسرعتها المعهودة، ولا تلمس الأرض أو تشعر بالطقس.

إنها عالقة بين الحقيقة والخيال، تتحرك عبر الهواء بينهما، عبر الأشجار الصلبة. إنها مثل كاميرا تتحرك عبر تفاصيل المشهد.. هذا عذابٌ محض، لكنها أيضاً تشعر بامتنان عميق، السعادة الشبيهة بالمخدرات امتناناً ما استطاعت أن تراه. كانت ترى لاني. إنه هناك في غابة هاتشيت.

حيث يلتقي الجناح الحاد للغابة القديمة بالحافة المسيجة للحقول المزروعة، يوجد مئة ياردة من الأشجار الأصغر والأضعف. تبدو كأنها الحدود، مكان لقاء بين شيئين لا تعرف ما هما. هذا المكان جاهز وينتظر مثل المسرح الفارغ.

تصل إلى لاني وتجده راكعاً يخربش، يسحب جانباً بطانية من الأغصان من صنع الإنسان. يكشف الغطاء المعدني الكبير للمصفاة. يستخدم مفك البراغي لفتح الغطاء، ثم يدسّ أصابعه تحته ويحاول رفعه. يهبط بصوت صاخب على السجادة الورقية.

جولي تناديه لكنها تعلم أنه لا يسمع.

مخيم لاني عبارة عن مصرفِ مياهٍ مهجور، محفور في التل، لا يمكن رؤيته ما لم تمش إليه مباشرة. إنها مساحة مثالية بحجم الصبي، عرين

محفور داخل أرضية الغابة. مكان رائع للاختباء.

رأته يدخل إليه.

"لاني، لا!"

تراقبه يجلس على الشبكة المعدنية، على بعد ثلاثة أقدام تحت السطح، وتراقبه وهو يفرغ ملاحظاته وأقلامه وسحره المعقد وكتابه وزجاجة الماء الصغيرة وقطعة الشوكولاتة.

تشاهده برعب شديد وهو يتململ بعصبية فوق الحاجز المشبكي الموجود تحته. يرتعد. تراه ينتبهُ إلى صوت التشقق والتحطم، ويرى الانقسام الفظيع في الثانية التي يدرك فيها أن هناك خطأ ما. نظرة من القلق تعبر وجهه مثل سحنة سوداء لغمامة الظل تنتشر في المكان.

صوت فرقعةٍ وصرير.

تنفجر المفصلات المعدنية الصغيرة، وتندفع الشبكة الصدئة بعيداً عن الجدران المهجورة للمصرف وتسقط. العالم يفسح المجال. يهوي الطفل وكلّ أشيائه في الظلام.

يبكي لاني من الألم في أرضية الحفرة المظلمة وتزأر جولي وتخدش الهواء لكنها ليست هناك. إنها عاجزة وصامتة. لا يمكنه الخروج ولا يمكنها الدخول.

خارج الحفرة، تسمع صراخاً وبكاءً، يصرخ طلباً للمساعدة، صوت أجش يمتزج مع البكاء. أصوات عقل طفلها ممزوجة بالخوف.

حرجٌ وخجلٌ وصرخات من الألم المرتبك.

يتضرع من شدة الألم ويرسل صرخات مباغتة. يتوسل كي يعثروا عليه. يحاول كلّ وسيلة ممكنة للتسلق أو الخربشة أو البحث عما يمكن ليده أن تمسكه. إنه عالق. يحاول أشياء كثيرة. يرمي كتابه فيهبط، للأسف، مفتوحاً في منتصف الطريق. يصرخ لاني وينادي والديه. ينادي زملاءه. ينادي معلميه. صديقه بيت. يناديهم جميعاً.

ينشر القمر غطاءً من الضوء عبر الغابة. لا يمكنها تحمل ذلك. تريد أن تنظر داخل الحفرة بأي وسيلة. من أجل الوصول إليه. تتوق للوصول إليه. لكنها تعرف أنها تشاهد إعادة، إنها تنظر عبر ثقبٍ من الزمن. الزمن. الوقت المثالي من الليل، في الغابة، تشاهدين ابنك يختفي.

تذكرت لوحة العذراء، الأم الخيالية، وثمة فجوة في حضنها حيث يجب أن يكون مستقبلاً. تلتف يداها حول الغياب، وتحضن المساحة الفارغة حيث كان ابنها ذات مرة.

الوقت يتسارع ويتوقف، يتأرجح ويمضي بطريقة مألوفة لجولي، يسرع خلال الساعات المظلمة حتى لا تضطر إلى الاستماع إلى تنهدات ابنها ثم يظل ثابتاً عندما يكون هادئاً، والتقارب الرهيب بينهما هو كلّ ما

تملكه. ثمة نوع من النعمة في اللقاء غير الواقعي، كما هو الحال عندما كان صغيراً جداً، عندما كان رضيعاً صغيراً يتنفس ويرضع لأول مرة.

عمد إلى توزيع ما لديه من مياه، لكنه أخذ الرشفة الصغيرة الأخيرة في صباح اليوم الثاني.

ثمة فترات طويلة من الصمت. تتراءى لها لمحات من الأسبوع الذي عاشته. شرطي يتنقل على طول الطرف العلوي للغابة ويلتقط الصور وتصرخ جولي بلا أمل. تصرخ – بلا صوت – إنه هنا، إنه هنا. كيف يعقل أنهم لم يعثروا عليه؟

فريق من المتطوعين يرتدون سترات نيون صفراء يمشون على طرف الحقل يضربون العشب الطويل بعصي المشي.

يتدلى الغرير وينظر إلى الغلاف الورقي المفتوح دون مبالاة.

رجل يقترب من الحفرة. يدخن سيجارة وينادي باسم لاني، ويركل الأوراق أثناء ذهابه. إنه لا يبحث عنه كما لو أنه يتوقع أن يجده. لا بد أن لاني نام ولم يرد النداء. يغادر الرجل وتبدأ ليلة أخرى.

سمعت مرةً الأغنية، فخرجت من الحفرة عندما بدأ لاني في الغناء. مجموعات من القوافي الجزئية وأغاني الحضانة، وإيقاعات الأغاني المبتذلة، والنداءات المتكررة الممزوجة بالبكاء أو الصلوات من أجل إنقاذه. بدأ أمله يتلاشى.

يتحدث عن عطشه الفظيع، وعن شعوره بالبرد الشديد، عن فضلاته والبول والدموع. تحطم قلب جولي. تسمعه يردد صلواته الغريبة يخرجها فارغة من أي معنى ويبصقها. الآن، إنها تنمو تحتنا، وتنمو فوقنا.

يجمع مياه الأمطار، ويصرخ، مشمئزاً، يتوسل، ويحلم بالماء. يلعق الجدران الطينية لزنزانته. يمتص كتل الطحالب القذرة تحته. إنه يكره نفسه. إنه يعرف ما يكفي عن الأجسام البشرية ليعرف أن إرادته ستنهار إذا لم يتمكن من شرب الماء.

في المساء الرابع أو الخامس، يتحدث لاني مباشرة إلى والدته. يقول آسف. أخبرها أنه يحبها. يهمس لها بقصص الامتنان والندم. يقول إنه عطشان جداً لدرجة أنه يستطيع أن يخترع فكرة الماء كلّ ثانية. يقول آسف آسف آسف آسف آسف. آسف يا أمي. آسف يا أبي. أخبرا آرتش وآلف والسيدة لوكاس إنني آسف أخبراً بيت أنني آسف. ويصف لها تعريشته ويأمل أن تجدها. يغني عن الغرابة الرهيبة لكونه على قيد الحياة وعذاب الوقوع سجين مصرفٍ رطب بارد في حين أن سريره على بعد نصف ميل من هنا. يبكي ويدعو أن يعثروا عليه.

"من فضلكم اعثروا عليّ".

يقول: "أمي، أنا أحتضر. أنا أحتضر يا أمي".

بعد ذلك بوقت طويل، أغمض عينيه ملتفاً على جانبه مرتجفاً ثم تذكر.

في اللحظة التي استسلم فيها للنوم العميق المظلم، تماماً في اللحظة التي تصلب فيها لسانه وتباطأ تدفق دمه، همس منهكاً: "توثوورت؟"

شعرت جولي بحكة في جلدها واحتدّ المشهد بأكمله وقفزت عائدة إلى الحياة. الهواء هشّ. الغابة مستيقظة.

يقول لاني، "توثوورت"؟ وعدتني. "أنا عطشان. من فضلك؟"

"توثوورت؟"

على بعد خمسين ياردة من مصيدة لاني، ترتجف شجيرة من خشب الزان وتثخن نفسها بشكل غير محكم على هيئة إنسان صغير.

تراقبه جولي وتبتسم وتدرك ما في الأمر. بالطبع.

إنه طفل.

تفترض أنه عليه أن يرتدي شيئاً مثل بشرته الأصلية. أخضر. يقف هادئاً وصغيراً أمام الشجيرات، مثل طفل أخضر. يبدو عارياً في الغسق، متوهجاً. تتأرجح الحواف الرفيعة للورقة أو السيقان، فتأخذ وزن خطواته، فيصبح من الثدييات، ثم يذوب مرة أخرى في النبات.

يبدو سعيداً الآن. يبدو أن السلام الممتد الذي يعمّ الهواء في هذا الوقت من المساء ينبعث منه، منذ الأزل. تشاهده جولي يسير ببطء إلى الأمام، متألقاً، وتدرك أنه طيب القلب. ربّما، إله.

كان يمشي على أطراف أصابعه نحو صديقه المحاصر في أرضية الغابة. يصل إلى الحفرة ويستلقي، ويحدق من أعلى الحافة.

يتحدث إلى الصبي.

لاني جرينتري، أنت تذكرني بنفسي.

يقف. يبدو أنه ينظر إلى جولي. لا يمكنها أن تنظر إليه بثبات. دماغها وعيناها لا يعرفان ما الرسائل التي يتبادلانها، لذلك لا يوجد حلّ. يومض ويضيء داخل وخارج شكله الصلب، مموه أو غير موجود وسط الغابة، على عكس كلّ ما تؤمن به. لكنها مثل الحالم المدرب جيداً الذي يقاطع أو يطارد أحلامه مدركاً ألم اليقظة اللاحق، لذا حاولت جولي التركيز. راقبت كلّ شيء بتركيز شديد.

يمسك توثوورت بذراع واحدة فوق الحفرة وينمو بقدر ما يحتاج.

تأخذ التفاحة اللحم من راحة يده المفتوحة، وتنبثق ببطء من رذاذ المادة الخضراء، وتتجعد أثناء دورانها. تفاحة منمشة حقيقية تماماً، مناسبة تماماً للغرض. رماها إلى لاني. ثم ذهب، وعاد مرة أخرى أكثر تردداً، دارَ حول الحفرة، أقرب إلى الظل منه إلى طاقةٍ تموج بين الأشياء. ثم يقف ساكناً جداً بتركيز شديد، يهز النسيم، ويلوي أصابعه فتظهر حبات البندق. يهتز ويصفق فتظهر حبات الخوخ. ثم حفنة من الكرز. بعض صواري الزان والثوم البري، وعشرات من حبات الفراولة

البرية الصغيرة، وتوت العليق، والتوت الأحمر، رماها في الحفرة كي تبقي الطفل على قيد الحياة.

يبدو أنّ الحصاد المعجزة لأفضل نواياه يرضيه، كما لو أنه انتظر وقتاً طويلاً لإنقاذ هذه الحياة. رمى حبات التوت الأسود والتوت البري وهو يسير في دائرة حول مكان الاختباء. يستمع إلى الأصوات المذهلة للولائم القائمة أدناه. يضحك توثوورت بصوتٍ يشبه صوت مئة طائرٍ صغيرٍ يطير. يحدّق ويصنع كوباً من يديه، ويغلق الثغور، وإذا به وعاء ورقي جيد، يملأه بالماء من مياه الينابيع الباردة من طبقات المياه الجوفية الطباشيرية الموجودة تحته. يسكبها للطفل ليشربها.

لكلّ مخلوق حيّ دوره.

يحلّ الليل، وقد انتهى عمل بابا توثوورت الميت.

تستيقظ جولي. كانت مستلقية على أرضية الغابة. منذ متى وهي هناك، لا علمَ لها. تشعر بالبرد القارس وفقدت قدرتها على تحديد الاتجاهات.

ثمّة صوت صغير في الغابة المرتعشة. يناديها.

يصعب عليها أن ترى بوضوح لكن ثمة خيطٌ من الضوء قادم من بين الأشجار فوقها وتعلم أنها ليست وحدها. تعرف أنها قريبة، فتصرخ: "أنا هنا!"

يوجد حاجز كثيف من اللبلاب والعوسج والأشجار المتساقطة والأسلاك والأعمدة المتعفنة، وتدرك أنها قريبة، وتندفع من خلالها، تركل أجمات السراخس، لكنها لم تحرز أي تقدم، يظلّ خط الشجرة على المسافة نفسها، الدغل كثيف ومتشابك وتذكر أنه كان أكثر انفتاحاً وأخفّ وزناً وأقرب، لا يمكنها إحراز أي تقدم، تجثو على ركبتيها مرة أخرى عاجزة عن الرؤية تحاول تجنب المنحدر، وتشعر كأنها ستسقط عن حافة الأرض ثم تسمع كلمة "انطلقي" وثمة من يدفعها من الخلف بيدين ثابتتين، قوة جسم آخر تمنحها دعماً من نوع ما.

.. يصرخ كما لو كان في المعركة، إنه روبرت هناك معها. يتدافعان بالقرب من المكان ويبدو مألوفاً ولكن ليس كما رأته، يوجد أخشاب وقطع سيارات قديمة وصوان ضخم يعيق طريقها ويشكل العوسج حاجزاً سميكاً بينها وبين الأرض الخالية. جرحت جولي من أجمات الشوك المتشابكة ونزفت يداها وركل روبرت بقوةٍ حصن الأعشاب والأشواك وظهرت يدان قويتان تدفعان ظهر جولي قبل أن تقع إلى الوراء وكان بيت هناك معهما، "انطلقا". اقتلع بيت الشجيرات، ودعس القراص، وأزاح كتلاً كبيرة من الحطب المتعفن، وصاح: "لقد وجدتك"، واندفع ثلاثتهم إلى الأمام كما لو أنّ ثمة من يوجههم. ثالوثٌ من الجهد اليائس. لقد قطعوا وسحبوا وضربوا، ونادت جولي باسم لاني.

صرخت باسمه. انضم بيت وروبرت إليها، يصرخان باسمه. صرخوا

باسمه ونادوه بين الشجيرات، داخل جيوب الظلام، عثروا على علامات للطريق، ثم اقتحموا الحيّز المفتوح، والروائح المألوفة والأوراق الرطبة، وكومة من الزجاجات المكسورة منذ مئة عام، ومخروط المرور، والقمامة المعروفة، والنفايات المعاصرة، وزجاجة رياضية بلاستيكية تعرّف عليها روبرت، وصرخ وانضم إليه الآخران. قالت جولي: هذا هو المكان، هذا هو المكان. يوجد كيس بسحاب، نظيف وجديد، وكتاب طفل بغلاف ورقي، إنهم يعثرون على أشيائه، ويصرخون مع كلّ اكتشاف، توجد كلاب معهم الآن، كلاب محمومة، تدفع وتلهث، تشم وتنبح، لقد حلّ الظلام ولكن ثمة ضوء شحيح وقد وصل أشخاص آخرون، كثرت الأصوات والمشاعل، مع القفازات والأحذية الفولاذية، ومع وضوح الغرض، أحضروا مقصات ضخمة، ومركبات أزاحت تشابك الشجيرات وسلطت الأضواء، فصارت الأرض فجأة مجرد أرض، مكان صغير حميم مسطح، تنحى جانباً من فضلك، قف جانباً، ثمة غطاء معدني، وهناك مربع خرساني، وحفرة مفتوحة، ضجيج جهاز راديو ومصابيح زرقاء بعيدة، صراخ وضجيج وصفارات الإنذار والرسائل والشاشات، وصخب الأشخاص الذين ينادون في الفضاء، والمطالبة بالمعدات، والعناية المناسبة بمسرح الجريمة، والدعوة إلى الهدوء، وصراخ جولي طلباً للهدوء، والاستلقاء، ومدّت يدها إلى الداخل.

بقعة صغيرة من الضوء حول مصرف غريب، وإشارات باليد، وصوت الأجهزة، لهاث وشتائم، وفجأة يتوقف الضجيج في كلّ أرجاء الغابة.

يصمت الجميع.

مجرد أمّ واسم طفلها.

بيجي

أشياء زائفة ونهايات. قوتُ المنافقين الذي لا يصدقُ أبداً ما يدّعون.

وعلى الرغم من ذلك.

فارقتُ الحياةَ صيفَ العام الذي أخرجوا فيه لاني من المصفاة في غابة هاتشيت. توقف قلبي، لكن جسدي ظلّ ممسكاً بالبوابة خمس عشرة دقيقة أخرى. ألقى العديد من الأشخاص تحية المساء على جثتي الهامدة. وفي النهاية أطاحت بي رياح خفيفة. استلقيت على الطريق لمدة ساعة أو ساعتين إلى أن أدركت أن بوسعي الرحيل وأن بإمكاني الصعود وترك الجيفة لعجوز بيجي ملقاة على الطريق.

صعدت إلى بقعة لاني معظم الليالي وقد جرى تحويل هذا المكان بشكل جذري. بالقرب من المكان الذي اضطربت فيه الأرض، تنتصب شجيرة صبيانية. لا تنمو قطّ. إنها بطولِ الفتى، سليمة، وتستمتع بشمس المساء.

ثمة نسائم لطيفة هناك وعمق مختلف للريح عندما تهب ها هنا. وجود الصبي نفسه غيّر المكان. أغانيه تركت أثراً جلياً.

لديه اسم آخر الآن. عندما يُسأل، يروي قصة بسيطة: سقطَ، نامَ، شعر بالخوف؛ ونجا بفضل حقيبة ظهر مليئة بالوجبات الخفيفة.

يعرف أنّ الناس خدعوا بالقصة التي كانوا يتوقعونها. أو التي أرادوا سماعها. يعلم أنه عندما عثر عليه حياً أصبح موضع توبيخ ولوم.

أعيد تدوير الملصقات والمنشورات، وغادر رجال الشرطة، وحصلت ضابطة الاتصال على ترقية، وتفكك زواج روبرت وجولي، وتوقف بيتر بليث عن عرض أعمال جديدة. أصبح لاني أطول وأكثر شعراً الآن، يتحرك ببطء أكثر، ويطرح أسئلة أقل ويفكر بشكل أكثر استقامة حيال الإنسان والطبيعة. يتسكع خلف موقف الحافلة، يدخن ويضحك مع أصدقائه.

لقد حاول أن ينسى ذكرى بابا توثوورت الميت. مثل آخر متحدثٍ بأي لغة كان عليه أن ينساها كي يبقى على قيد الحياة، لكن جزءاً من معرفته بها يعيش في نخاعه.

كان بوسعي الاستمرار، لكن انتبه:

في أعماق الغابة الإنجليزية المزروعة يوجد رجل عجوز يجلس على جذعٍ ويحدق في جذور شجرة ساقطة.

يخرج رزمة كبيرة من الورق ولوحين خشبيين.

يفتح صندوقاً صغيراً من الفحم ويزيل عصا هشة من الصفصاف المحترق. يجلس ولا يفعل شيئاً سوى النظر لمدة عشر دقائق. تراقبه أشجار الزان، يجلس بأمان تحت ظلها.

ثم يبدأ بالتحرك على بياض الصفحة بكعبِ يده الجاف فقط، دون أن يترك أي علامة، ويسمح فقط لذراعه وعينه والأشكال التي ينظر إليها بالاطلاع عليها، ثم بضربات واثقة يبدأ في رسم الجذور، ويسمح لهم بالتشكل على الصفحة. يقفز خطه ويتعمق في فكرة الجذور، وتلعب الجذور دور العظام، والأجسام المتشابكة، والمباني المحترقة، والإطارات المعدنية المدمرة بسبب اللوياثان الصناعي، والملامح، والثعابين، والعقد، والتجاويف، ثم يبتسم لأنه عندما يغمق الخطوط ويعمل عليها تبدو وتظهر مثل جذور الأشجار.

"بيت المجنون"

"آه، مساء الخير يا سيدي".

ينحني الرجل العجوز ويضع رسمه على الأرض. يقف، ممسكاً بيده أسفل ظهره بسبب الألم في عظامه.

"تعال إلى هنا".

وتعانق الرجلان. الشاب أطول بقدمٍ من العجوز ويبتسم له وهو ينحني لعناقه، ويرى الرسم على الأرض.

"جميل".

"حسناً، سيد دورر، لديك مهمة".

يأخذ الشاب زجاجتين من الجعة من حقيبته. يبحث في حقيبته عن مفاتيحه ثم يزيل الغطاء عن كليهما ويقدم واحدة للرجل العجوز. تبادلا نخباً وجلسا يشربان.

"هذا من أمي"، قال الصبي، وهو يسلم الرجل كتاباً. "نسخة موقعة من آخر عملٍ لها".

"يا للجحيم، المزيد من الكوابيس".

"دائما المزيد من الكوابيس".

يمزق الرجل العجوز ورقة من دفتره ويثبتها بمشبك معدني على اللوحة الاحتياطية..

يسلم اللوحة وعصا من الفحم لرفيقه ويومئ برأسه إلى الشجرة المقلوبة.

لديهما ساعة أو ساعتان من الضوء الجيد قبل أن يحلّ الظلام. يرسمان الغابة من حولهما.

Telegram:@mbooks90

محبتي وامتناني لـ:

ليزا بيكر.

ميتزي أنجل وإيثان نوسوسكي.

الجميع في دار فابر، جرايولف، أيتكين ألكسندر وغرانتا.

كيت وارد، ولويزا جوينر، وإليانور ريس، وجوني بيلهام، وراشيل الكسندر، وكيت بيرتون، وكاثرين دالي وكاتي هول.

لوسي ديكنز.

الناشرون الدوليون والمترجمون والأصدقاء. الأهم من ذلك كله، شكراً جيس على كلّ شيء.